

فصل

تحت الموضع

هدية المؤلف

إلى الصديق الكبير

الأستاذ ألبير أديب

١٩٤٩

تحت الموضع

عمر أبو ريرة بدوي الجبل شفيق مبري محمد البرم مهدي الجوالهري

بقلم

محمد روجي فيصل

رئيس قلم المطبوعات في حمص
صاحب كتاب « من النقد الفرنسي »

قديم له

الأستاذ قدري العمر

مدير معارف حمص
صاحب كتاب « من الأدب »

منشورات

دار الحكمة — حمص

١٩٤٩

مخطبات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

تمهيد

تهدف « دار الحكمة » من وراء نشر « تحت المبضع » الى غرضين : أولهما أن تتنفس كنوز الفكر والنقد عندنا بين أيدي القراء ، فخرام ان يظل الأدب الرفيع محتجباً فلا تنتفع به غير ظلمة الدروج في مكاتب الكتاب ! وثانيهما أن تنطلق الحركة الادبية من عقالتها في هذا البلد ، وان يعود الأدباء الى ما كانوا فيه من جو مائع ، لئن تنوعت صحافتهم ، فانهم يأكلون على مائدة واحدة . . وأحسب أن القراء سيستقبلون « تحت المبضع » بكثير من الغبطة والاعجاب ، وسيقبلون عليه وينظرون فيه ، فيلهجون خلوص النية في النقد ، وابداع الموهبة في التحليل ، وجمال الأسلوب في العرض . وفي ذلك اثارة لقواهم ، ومادة لأقلامهم ان كانوا من أصحاب الادب والاقدام . وانقارى هنا ازاء صورة جديدة من الأدب السوري المعاصر ، مشى في تجليتها الكاتب الكبير الأستاذ فيصل على نمط قيم وهو الوقوف عند كل قصيدة من قصائد مهرجان أبي العلاء الألفي ، يدرسها ويستقرى مواضع قوتها وضعفها ثم يخلص من دراسته واستقرائه ، على هدوء وبصر ، الى جملة القول في مرحلة التطور التي يجتازها الشعر السوري في هذه الأيام . وليس في كتابنا من هو أنهض بدوق الادب وأقدر على الانتاج الفني ، على أساس من الموهبة والثقافة ، من الأستاذ فيصل . وفي المقدمة التي تفضل سعادة مدير المعارف الأستاذ قدري العمر فكتبها خصيصاً لهذا الكتاب ، ضوء ساطع يكشف أدب محمد وروحي فيصل في اخص خصائصه وأبرز آفاقه . فإلى الاستاذين الكريمين أتقدم بشكري الخالص لما سوف يميحان لقراء « تحت المبضع » من ترقية بضع ساعات ممتعة مشرقة .

بشير الزهرراوي

« مؤسس دار الحكمة »

المقدمة

بقلم الأستاذ فدرى العمر

يظهر الادباء وبغيمون ، وتمضي الشهور والسنوات ، وتصير أيها
الحدث فتي ، وتنقلب أنت أيها الفتى كهلاً ؛ وقد يضحك حظك
فتبلغ الشيخوخة وتدرك الهرم ؛ ويتغير عليك في سفارك هذا كل
ما تعرض الدنيا من حلو ومر ، وحمل ودميم ، وقاس ولين . . .
يتغير عليك كل شيء ، ما حيت ، ولكن حديثاً واحداً لا يتغير
ولا يتبدل ، ويبقى على ما كان يوم قيل ، ويوم صار ، ويوم كان . . .
هذا الحديث هو كلمة الادباء في الادب ، اذ يقولون :

الأدب في بلادنا والفنون الجميلة جميعها ليست سوى همود وركود و كساد
ذلك اللحن القاتم الحزين ، تسمعه في كل بلد من بلادنا ،
وفي كل مصر من أمصارنا . . . تسمعه من الأديب والمتأدب ،
ومن الشاعر والشويعر ؛ ومن الذكي والغبي ، والعالم والمتعلم ؛
أنت تسمعه من البارد الغليظ الثقيل ، ومن الخفيف الهازئ الأنيس . . .
نعم ! تسمع ذلك من كل أديب ، نابهاً كان أم خاملاً ، ولكن أديباً
واحداً لا تسمعه منه ! هذا الأديب الواحد هو الأستاذ محمد روجي فيصل .
انه مشغول بالعمل الأدب ، عن التفكير بهموده ، أو كساده .
فاذا التقيت به ؛ ينتهي سلامكما في أقل من القليل ؛ أما حديثه في الادب

فلا ينتهي الا بعد تثبيت فكرة ، أو بسط رفة قلب ، أو عرض صورة تحلو معها الحياة .

وخلاصة القول : هو أن الأدب عند الأدباء هامد ، وأكد ، كاسد ! ..
أما عند الاستاذ محمد روجي فيصل فهو لا يهمد ولا يركد ولا يكسد ! ..
انه يشع ساعة اليأس مثلما يشع ساعة الأمل ، ويعمل في انبثالة مثلما يعمل ابان العمل ، وينمو بين الظل النقي كما ينمو تحت القيقظ الثقيل ! ..
وضحوة النهار في الصحاري ، وفي البساتين مع الاسحار ؛ وإلى الساقية ، وإلى البحار ، وعند السمراء وعند البضاء ؛ انه يشع ويعمل وينمو مع الحياة أينما توجهت الحياة !

فمن كان في حمص منذ نصف وخمسة عشر عاماً ، رأى في الطريق المؤدية الى مقهى « الدبلان » شاباً أدباء مثقفين يشون نحو الدبلان فرحين مستبشرين ، يريدون أن يجتمعوا الى حلقة الاستاذ محمد روجي فيصل ، ليسمعوا منه ، ويسمع لهم ، ويتجادلوا في النقد ، وليرسلوا بين هذا وذلك الفكرة الدقيقة في الفكاهة الطريفة ، وليفيد بعضهم من بعض . انهم يشون الى الدبلان ليستمتعوا بحديث الأدب ، وليفيدوا بهذا الحديث وهم مستمتعون . .

وفي قدرتك أن تطوي الايام الى ابعد من ذلك ، فترى روجي فيصل تلميذاً في صف البكالوريا ، ينتظر بشغف ، درس الأدب . فأذا صار الى الدرس ، صب على المدرس مواهب متوثبة بالسؤال ، والنقاش ، وكثيراً ما أوضح ما لم يطمئن له من آراء المدرس .

وهكذا تراه اليوم ، وتراه قبل بضع خمس عشرة سنة ، وتراه قبل ذلك بكثير ؛ انك تراه قد انصرف نحو الأدب ، فتوجهت مواهبه نحوه توجهاً غرق معه فيه ، اينما كان وحيثما ذهب او صار . . .

والمتع ، أنه صار يوماً في الجامعة الفرنسية في بيروت ، وكان قصد إليها
ليدرس الكيمياء ، فأعطى الكيمياء بعض عقله ، واحتفظ بالباقي
كله للأدب ، فكتب فيه ما شاء له غراه به أن يكتب ، وطلع
على القراء في الصحف والمجلات بأحاديث وموضوعات لا يستغني عنها
أحد ، بل يلتهمها قراءة كل أحد . فالذين قرأوها ، وما أكثرهم ، قد
امتزجت بأدبهم ، ثم أخذت ييدهم إلى ألوان من الأدب وقرافة غير
حائرة ، فكانت لهم إيماء لا يدركون مصدرها ، أو وعياً اصطنعوه ،
وما علموا أنهم اصطنعوه ، أو تقليداً استمسكوا به حيناً طويلاً . . .
وبعد ، فمتى يكون الأدب كذلك ؟

الجواب على هذا السؤال ، قد صار سهلاً بعد هذا الكلام ، بل
صار يتحرك على كل فم ولسان ، وقد يكون سطع بالضوء الصافي في
كل جنان . . . واذن يقع البحث على أن روجيه فيصل أديب حقاً ،
تطمئن لذلك ، وتعتقد به ، وتفرح له ، وتفيد بنتاجه ، ولا تنافسه ، وإنما
تدعو له ولرواج آثاره . . .

والآن ، هل تريد أن تستريح أيها القاري ، أم تريد أن نفتح
معاً ما بقي من الموضوع ؟ . . . بالرغم من أن الباقي من الموضوع هو
أصعبه ! . . فقد بقيت عقده ، وموضعه الذي يغيب وراء الآفاق . نعم . .
بقي أن تنفذ إلى أدب محمد روجيه فيصل ، وتجرب هل تستطيع أن
تبين حدوده أو بعض حدوده ، وتبين مداه أو بعض مداه ؟

وعلام الراحة ، ما دامت أحلى المتع تستقر في الاستغراق في نتاج
الأدباء . . فلنستيقظ إذن أكثر من يقظتنا الأولى ، ولنمش بتؤدة في
دروب متداخلة ، ولنحمل سراجاً نحصر عليه فلا نضيعه ، وإذا
خبأ نعله حتى لا نضل الطريق ، وحتى نبليغ من أدب روجيه فيصل

مداه او بعض مداه . . .
فتعال نبدأ بالرجوع الى آثاره ، او الى الألوان البارزة من آثاره ،
لتمتص بأسلوبه وبنتاجه في الترجمة والانشاء والنقد والقصص .
أما أسلوبه فسهل ، الا اذا طالت الجمل ، وقليلاً ما تطول جملة ،
وحينئذ يبلغ العميق من التفكير ، ويبلغ الامواج ذات الاهتزاز العاصف
من العاطفة ، وفي هذه الحال تبرز قوته في غابات ظاهها ظليل ، ونورها
غير ضئيل ! وقد تغمض القوة فلا تظهر الا الذي يحمل المواهب
التي يحملها وروحي فيصل صاحب الأسلوب ، والا الذي خالطه او جالسه
او باحثه او سمع له ! . . .

ذلك الأسلوب قد يلحق القرارة في الوادي السحيق ، وقد يسبح
على الطافي منه ، وما أدري اي النوعين اكثر اتصالاً بأسلوبه ،
ولعل الذين يقرأونه يعمدون قراءته فيكونون هم الحاكمين
ومحمد وروحي فيصل صاحب خيال ، حسيه اكثر من معنويه ، ويبدو
أن قوة التفكير في أسلوبه اقوى من قوة التخيل ، رغم ان خياله
حلو مزين بديع . . . ويبدو أيضاً ان تفكيره يتصل بالعلم وينابيعه ،
اكثراً مما يتصل بالتأمل وينابيعه ، على سمو تأمله وعلى قوة الكشف
في هذا التأمل اما العاطفة ، فهي في أسلوبه تلين وتربت ، ثم تعود
فتشع وتهتز . . . والضحك يخفى بين سطوره ، بل كثيراً ما تفقد الابتسام
بينها ، غير أنك تعوض عن الضحك والابتسام بسخر قوي جامع رحيم . . .
واللغة ، وهي اداة البيان ، قد تعب لها ، واخذ منها ما ينبغي ان يؤخذ ، ثم
لحقها بالفرنسية . ويبدو ان اللغتين قد تغالبتا حيناً على طريقة الأداء ، تريد
كناهما ان تظهر بطريقته في الاداء ، وأخيراً استقرتا ، فصار لكل واحدة منهما
ساقية موصولة بينوع غزير من العلم والفكر والعاطفة والخيال ؛ فكانت

سهلة الارواء ، سهلة التلحين ، سهلة الوصول الى الازهار والاطيار .
 وفي آثار روجيه فيصل ظاهرتان قويتان : أولاهما أنك تذكره ،
 وانت بين سطوره ، فيتمثل لك في جلسته وحرركته وحديثه ،
 وكثيراً ما رأيت نفسه ، وانت بميد عنه ، بقراءة أثر من آثاره . . .
 وثانيتهما هو أنك تتعرف بآثاره الى نفس رضية تعمل دائماً الى ان
 تكون خفيفة كالنسيم فتتوفق ، وتعمل الى ان تتودد لك وترضيك وتقدم
 لك ما تفيد به وما تستمتع عند قراءته ، فتتوفق ايضاً . . . بل يبلغ
 من توفيقها أنك تشعر ، وانت بين سطوره ، أنك تجالس نفسك لا
 تتناول على احد ، ولا تتعالى على احد ، رغم ما تحمل من قوة . .
 انها تقدم ما عندها بسخاء وكرم ، فتشعر أنك مأخوذ بالتواضع وبالكرم ،
 فتحترم وتحب النفس التي تجلس وراء هذه الآثار . . . ولعل
 هذا النمو النفسي قد جاء بالوراثة ، ثم بما قرأ من كنوز العربية
 والفرنسية . ألا ترى انه ترجم احسن ما قرأ في الاجنبية الى اللغة العربية . .
 فاذا كنت قد قرأت لروحي فيصل بعض ما ترجم ، فقد عرفت
 انه ترجم الدقيق من بحوث (فاليري) و (بولدير) . . وكلاهما قد
 خاض اعظم ما يطلب الأدب ، فجاء روجيه فيصل ، فنقل الى
 ابناء امته احسن ما عند الأدبيين الغربيين . . . وهو فيما ترجم ، يبدو
 كأنه منشئ ، لا مترجم ، ولعل ذلك يرجع الى ان الاستاذ روجيه فيصل
 قد وجد في جنبات نفسه الكثير مما خطر لأولئك ووطأ من قبل ان
 يرى آثارهم ، فاما ترجم رسائلهم ، كان موصولاً بينوعه وهو بين
 يتابعهم ، فنضح عن حوضين ، أولاهما حوضه ، والثاني حوض الابعد ،
 لذلك غمض عليك الفرق بين رسائله المترجمة وبين رسائله المؤلفة
 بروحه ونفسه . .

ومن المفيد ان تنتقل من قطعه المترجمة الى قطعه الخاصة به ، واذن
فلنتقي يبحثات متنوعة في الأدب ، ونلتقي بقصص حلوا مفيد . . اما
البحوث الأدبية فهي كبحوث المترجمة قوة وعميقاً وادراكاً . .

واما قصصه ، فيعتمد على الفائدة اكثر مما يعتمد على المتعة ، ويتصل بواقع
المجتمع الحسي اكثر مما يتصل بواقعه النفسي ، وبالعالم اكثر من الخيال ،
وعقده قوية تارة متراخية اخرى ، والحل تتراوح عليه الفائدة والمغزى
فتقومان مقام دقة الحركة . والمعتقد هو انه لو عمل للقصص مثلاً
عمل للبحوث الأدبية وللمترجمة ، لبلغ من القصص اكثر مما بلغ منها غيره . .
وبعد ، فرغم قوته في القصص ، تستطيع ان تطمئن الى ان
قوته الأدبية تتركز على النقد ، فتظهر في نقد الشعراء وتحليل الشعر .

هذه القوة تنجلي اذا عرف انها كاشفة تحيط بأدق ما في اللفظ من
دلالة ، وأدق ما بين اللفظ وبين أسرته من انسجام ، وتعرف اضواء
الجميل ، وظلمة الدميم ، ولا تفوتها النجوى ، ولا رفة القلب ، وتلمح
الشعاع البائخ ، كما ترى الشعاع الالامع . . . والفكر الغامضة واضحة
اذا وقعت تحت بصرها ، واما الواضحة فهي بين الاصابع متداولة . . .

لذلك كله ترى روي فيصل ، وهو يبحث الشعراء ، قد يعبس عبوساً
يكاد يكون قاسياً ، فاذا انقبه الى انه تأثر بالديمم اكثر مما يميل بالديمم ،
عاد عن القسوة الى اللين في رفق حبيب . ولذلك ايضاً تراه يفرح عند
الاثر الجميل ، فبدل على قوته بتهمل مشرق ، ويجود على المؤلف بأطراء
مسرف ، حتى اذا انقبه الى هذا الاسراف عاد الى الميزان الحساس .

وخلاصة القول في الاستاذ فيصل هو انه اديب قوي ، منتج ، غزير
العلم ، دقيق الاحساس ، ناقد كاشف ، ذو نفس كريمة وقلب صادق اصيل .

تموز / ١٩٤٩

فدري العمر

دنيا الأدب عالم ثانٍ

*

في الشعر معنى الحياة التي تروع بجملها ، وتجدد بأثرها ،
وتدق بهندستها . ألا من مبلغ عني معشر الجاهلين أنهم يحذفون
الحياة نفسها حين يحذفون الشعر من قائمة الفن

*

الكلمة الواحدة تدخل في رأسين اثنين ، فتحمل الى هذا
النشوة والسلام ، وتحمل إلى الآخر الفتنة والآلام

*

النقاد اثنان : ناقد عالم ينفذ الى الحق من خلال الهوى ،
ويعمن في الجمال من غير شهوة ، ويدل على الخير كأنه فاعله ،
ويقوم الإنتاج بميزان الصيدلي الحساس . وناقد مريض تمشي
الأثرة في لفظه على غير استحياء ، ويلوي المعنى في كلامه على

مكر ، وينبت اللؤم في صدره بلا زهر
قال الرأي العام : « أحب الأول ، وأرثي للثاني »

*

بعض كتاب زماننا مثل الافاعي ، يخيفون بفحيجهم الحاد
الداوي ، ويؤذون بسمهم الحلو الجاري

*

الشهرة معنى جديد ينهض بأكثر من عشرين قصيدة

*

أرأيت إلى الحياة في مضطربها كيف تبدلها اللوحة ، وتنقلها
الملاوة ، وتصبغها العاطفة ، وتخضعها الظروف ؟ فذلك ما يبعث
على جذتها وجمالها وخلودها . وذلك — على الضبط — ما وكل
الى الفن بتصويره

*

قد يجيش صدر الأديب بالمعاني حتى ما يستطيع أن يحتملها ،
وقد ينضب حتى لكأنه بلقع فقر . انها حياة نقلة ومخاض . ما
أشبه الأديب بأسفنجة لدنة تمتلئ حيناً وتفرغ حيناً . كل ما

يجري به قلمه قد تمثله وعاشه . قاعدته في البيان : « خذ واعط »

*

القول ما قال « سنت بوف » : نصيحتي الى أدباء الشباب ألا يقلدوا من يعجبون بهم من أعلام البيان ، فذلك يميمت نفوسهم ، ويشوه شخصيتهم . حسبهم أن يتذوقوا آثارهم ، وليكن لهم مثل أعلى يوجه إلتاجهم ، ويصحح مقاييسهم ، ويهذب أهواءهم . ولا غضاضة عليهم — وهم ينشئون في لغة جميلة ، متأثرين بالنفس والبيئة يستمدون منهما الوحي والقوة — أن يتساءلوا من حين الى آخر ، وجباههم مرفوعة الى السماء ، وعيونهم شاخصة الى الاموات الاحياء : « ترى ، ماذا يقال فينا ؟ ! »

*

الشعراء ثلاثة : شاعر موهوب ينفث من نفسه معنى الفاظه ، ويستخرج من لغته الفاظ معناه ! ينحدر الى سريره ليبسطها ، ويجلو المبهم منها ، ويفرز المتداخل المتشابك ، ثم يسجل الخلجة الجميلة او الخاطر الاصيل وكأنما يلد من لحمه ودمه جنيناً حياً ، يرعاه ويحبه ويحرص على ان يكون قوياً

نشيظاً سليماً ، ويأخذه بألوان من التهذيب والنضارة حتى يشر .
ولئن نصب الشاعر في الولادة ، وعانى ألم البيان ، فاقدر يستمتع
بمرأى الوليد النضر الجميل يسمى وينطق ثم يكون له نصيبه
الموفور من الحياة ، وفضله المميم على الناس

وشاعر ميت يتصيد اللفظة الشاردة ، والكلمة المتأبدة ،
من بطون المعاجم ، وإنتاج الزملاء ، وقديم الأدياء ، وكأنما يتصيد
الفريسة الدسمة السمينة . . . ! ولعله يلتزم صنعة البديع
بتشبيهه ومقابلته وجناسه ، وكأنما يلتزم طرائق البيان الخالدة ،
ويعلن عن ثقافته وذوقه

وشاعر مفلس لو اجتمع مرة للثناء ، ونوى البكاء ، لتصفح
المراثي الباكية واحدة فواحدة ، ومعنى معنى ، وبيتاً بيتاً ، ثم
اختلس هذا ، وقلب هذا ، ووجه وزاد . . . لقد يقتني المسكين
روائع غيره ، ويختبئ وراء نظمه ، وينزل عن شخصيته ، ويسف
بكرامته - حباً بالذكر والأحدث

قال التاريخ : « عبثاً ينتج شاعر الصنعة وشاعر السرقة »

محمد روى فيصل

الشعر في مهرجان أبي العلاء

- ١ -

سحب الزمان ذيل ردائه الاسود الكثيف على
مهرجان كانت سوريا قد ضجت له بفيحاءها
وشبائها وحمصها ولاذقيتها ، وبما بين هذه من
مدن وقرى ، والصحافة قد احتفت له بأعمدتها
الطوال وعناوينها العراض ، والحكومة قد ساهمت
فيه بنصيب عظيم فخصت الاموال وهيأت المنابر
وأقامت المآدب . وجعل الناس يتحدثون في
المحافل والمجامع بما كان من شأن ابي العلاء

المعري في التفكير والدين والشعر والنثر
والكتب ، يقدرونه ويقرؤون له ثم يختلفون
في نظرتهم للمرأة وعلة تشاؤمه ومصدر ثقافته وغير
هذا من الموضوعات التي يشير بها الحديث عن أبي
المعالي ، ولكنهم على اختلافهم في ذلك وعلى توجه
نظراتهم إليه كانوا يتفقون فيما بينهم على شيء : الحب
والاعجاب !

فقد منح الناس قلوبهم وأوسعوا له في عقولهم فظفر منها
في العصر الحديث بما لم يظفر به الا الاقل القليل من ادباء
العربية ، وكان حبهم له واعجابهم به تعويضاً عما لحق به في
زمانه من جور ، كما كان هذا الحب والاعجاب مصدراً
لنشر بعض آثاره على نحو جميل ، ولدراسة حياته وادبه وآرائه
في العربية وفي مختلف اللغات الاجنبية

اجل ، لقد انقضى ذلك المهرجان الرائع ، وطوته
الايام في جملة ما تطوي على عاداتها من جليل
الاحداث ، فأفلت الوفود العربية الى أوطانها ،

وسكت الناس في هذه البلاد عما كانوا يخوضون من
حديث ابي العلاء في حوار هادئ او صاخب ، ومضت
الصحف اليومية والاسبوعية في سبيلها المخصص لها في
هذه الايام من الكلام عن الحرب ومشاكلها ، والاعاشة
واوضاعها ، لا تذكر من المعري قليلاً ولا كثيراً ، كأنما
الذاكرة قد وعته زمناً لتسلوه ابداً ، او كأنما كان زياً من
اللباس يرتديه الناس ثم يخاعونه لا يعودون اليه من بعد
ذلك او يعود اليه المثقفون الادباء منهم بين حين وحين
وليس من ريب في ان المعري قد ظفر خلال المهرجان
بنعمة الحديث عنه ظفراً لم يتناول اليه من قبل في هذه
البلاد السورية الا ظفر أبي الطيب المتنبي حين انعقد له
الكلام الطويل بدمشق وحمص عام ١٩٣٦ ، فما ازال اذكر ،
والناس يذكرون معي ، انه كان عاماً قوياً بالغ القوة ،
خصباً بالغ الخصوبة ، عاد على الادب بوجه عام وعلى المتنبي
بوجه خاص بكثير من الخير والنفع . فقد انطلقت الاقلام
وانطلقت الالسن تعيد وتبدي في مالى الدنيا وشاغل الناس

ما شامت لها الظروف ووسعها الكلام ، فظفر الشاعر العربي
الكبير بسيرورة مليحة وشهرة مستفيضة هما تاج على رأس
ما كان له منها على الزمان وفي كل حين .

ولكن مهرجان ابي الطيب المتنبي ما كان أنداء على
القلوب وأحلاه في الآذان ! ينصرم صيف ١٩٣٦ فإذا
الصمت يخيم ، والالسن تكف ، والاقلام تجف . وتمر
الاعوام تملوها الاعوام ، والمواقظ كثيرة ، والمناسبات
عديدة ، ولكن الادباء صم بكم عمي فهم مع النائمين نيام .
حتى اذا حل هذا الصيف ، صيف ١٩٤٤ ، نشطت الحركة
في المفاصل ودبت الحياة في النفوس ثم وقع الكلام من نفسه
على شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء كما يقولون ، فاذا هو من
لحده الضيق بالمعرة في مماء رحبة تتجاوب فيها اصوات الخطباء
وصرير الاقلام ، واذا هو من ظلمة رقده الهادئة في نور
الحياة وضواء الشعب !

اعوام ثمانية مرت بين المهرجانيين على اعضاء المجمع العالمي
العربي كقطع من الليل لا يشبتون فيها وجوداً ، ولا يطاقون

صوتاً ، ولا ينظمون شعراً ، ولا يخطون سطرّاً ، كأنما هم كانوا
من الحياة الادبية في سوريا على الهامش او في الحاشية ، او
كأنما كانوا كالاناسي الآخرين يشركونهم فحسب فيما
يضطربون فيه من اعمال الحياة ومشاكل العيش . ترى ، أفيعني
هذا ان الجندي والتقي والبزم والمغربي وجبري هم من ادباء
المناسبات ؟ اما سكرتير المجمع السيد ياسين الخانجي فيقول :
لا ، افما ينطوي الاستاذ كرد علي في غوطته على نفسه فيقرأ
ويكتب ؟ واما الزمان فيقول : نعم ، بل فيه ، افيجس
الناس لأعضاء المجمع وجوداً او يسمعون لهم صوتاً إلا في
الثمانية اعوام مرة ، على كثرة ما يضطرب في هذه الاعوام
الثمانية من الدواعي والبواعث ؟ واذن افلا يكون اعضاء المجمع
العالمي ادباء مناسبات ؟ ايها الصادق في قوله ياسين الخانجي
ام الزمان ؟ لا ريب عندي ان الزمان فيما قال وما يقول
اصدق من صاحبه !

ومهما يكن ركود الادب عند اعضاء المجمع العالمي ، وانشغالهم
بكل شيء الا بالانتاج ، فلقد توفروا هذا العام على أي العلماء

كما توفروا منذ اعوام على ابي الطيب ، فدعوا الى الاحتفال
بمهرجانه الالفي طائفة من كبار الادباء والباحثين ، وكان لما بذلوا
له من جهد ، ولا اقول من انتاج ، اعظم الأثر في نجاحه هذا
النجاح الذي قل ان شهدت هذه البلاد له ضريعاً . فالحق ان
اعضاء المجمع جامدون متزمتون ، لا استثني منهم الا فريقاً
قليلاً ، ولكنهم اذا جد الجدد ، وتفضوا عن انفسهم رداء
الكسل ، وصاروا الى شيء من روح الشباب ، خرجوا
كأقوى ما يكون ادباء المناسبات احتفالاً بمن يتحدثون
وتقديرًا لمن يهتفون . فقد استطاعوا عام ١٩٣٦ ان يخلقوا
تياراً لا بأس بقوته من النشاط الفكري والادبي عند طائفة
منهم ومن الشباب ، في سوريا وفي غيرها من البلدان العربية ،
كما استطاعوا هذا العام ان يعيدوا الى هذا التيار جريانه
بعد ما ركده ركدة ظننا ان لا سبيل الى استئناف الحياة فيه .
وكان من وراء نشاطهم المحمود محصول ادبي ليس من
الضخامة بالقدر الذي كنا نتوقع ، الا ان قيمته لا بأس
بها في الجملة وإن كانت تتفاوت تفاوت الخطباء والشعراء في

اقدارهم ومواهبهم واستعدادهم .

ويحسن هذا التفريق بين ما قيل في المهرجان من اثر
ومن شعر . فاما ان ابا العلاء المعري نفسه قد استبان لنا على
غير ما كنا نعرف من صورته ، فذلك ما لا يقوله اديب
له شيء من مشاركة في فهم الادب على العموم وفي فهم
الادب العربي على الخصوص . فما شع من هذا المهرجان
الذي انقضى ضوء نظرية جديدة من شأنها ان تنير ناحية من
ابي العلاء كانت مجهولة او مظلمة ، ولا انبثق عرض شامل
ينظم هذا الرجل الكبير في شتى مجاليه ، وانما كان المهرجان
في اكثر بضاعته النثرية المزجاة اجتراراً لما يعرفه عن ابي
العلاء أوساط الادباء بله المتعمقون منهم . فالواقع ان الذين
درسوا ابا العلاء من قبل في الكتب والصحف قد استوفوا
أغلب ما يمكن أن يقال فيه ، من عرض لحياته ، وتصوير
لآرائه ، وتقويم لعبقريته . واذن فما كان خطباء المهرجان الا
رجالاً أخرجوا ابا العلاء من مطاوي الكتب الى دنيا الناس
في جهرتهم الساحقة ، فاجادوا من هذه الناحية اكثر مما اجادوا

في درسه من جديد درساً يضيف الى ما كان معروفاً عنه شيئاً من حديث او طريف .

أفاد المهرجان هذا الرجل العامي الذي لن يتناول وقته او عقله الى مطالعة ابي العلاء . وافاد هذا الرجل المثقف الذي شغلته الشواغل العامة عن الرجوع الى احدى عبقریات الادب العربي . وما عدا هذين ، فالمهرجان ما كان له قط من عائدة على اديب او شاعر الا بقدر ما كان له من قبل من مشاركة فكرية او فنية

ربما كان هذا هو الذي رمى اليه اعضاء المجمع العربي حين عقدوا لابي العلاء المعري مهرجاناً النفاً، كأنما هم قد حرصوا على اهاجة الرأي العام الى رجل خليق بالدرس جدير بالتقدير ، ففيه مناح حية وعبقرية قوية هي حقيقة بكل خلود . والرأي عندي انهم مصيبون من هذه الناحية ، فاغلب المهرجانات التي تقام للادباء في بلاد العالم تثير الفضول وتخلق الشوق عند عامة المتأدين وجمهرة المثقفين . بيد ان الكلام المعقود في مثل هذه المناسبات لا يخلو ، او يجب ان لا يخلو ، من جديد طريف لم يكن معروفاً

من قبل عند الخاصة من الناس . وأراني مضطراً الى ان
اصرح هنا ان الدكتور طه حسين حين التي كلمته في المهرجان
عن « الفصول والغايات » لم يكن دارساً ابا العلاء من هذه
الناحية دراسة جديدة ، وانما كان معيداً لكلمة كان هو
نفسه قد كتبها بنصها وروحها في مجلة « الحديث » الحلبية منذ
اربع سنوات !

افرايتم كيف كان الاجترار واضحاً في مهرجان ابي العلاء
عند عميد الادب العربي ؟ افرايتم كيف كان الدكتور طه
كسولاً الى درجة لم يجد ما يقوله في الجامعة السورية الا
العودة الى قديم ما كتب ونشر ؟ وما ذكرت هذا الا
على سبيل المثال ، فما همي الآن الا ان اظهر القراء على ان
مهرجان ابي العلاء لم يكن فيه من الجودة الا هذا الكلام
المكرور المألوف ، ان كانت في الكلام المكرور المألوف جدة !
ذلك هو على التقريب شأن ما قيل في المهرجان من
نثر . فمن هنا لم أجد بداً من التجاوز عن هذه الخطب

التي القيت ، فما أقف عندها وقفة قصيرة ولا طويلة ، وما
أعرض لها بنقد أو تحليل ، فهي معروفة من قبل بروحها
وبشيء من نصها . فأما الشعر في مهرجان أي العلاء فله
عندي شأن آخر يفوق شأن النثر درجات .

شأن الشعر في هذا المهرجان ، كشأن الشعر في كل زمان ،
حامل من أقوى العوامل في إيقاظ الشعور الغافي أو تصوير
الشعور الواعي ، ومجلى لشخصية الشاعر ورهافة احساسه
وروعة بيانه . فأي مكان شعراء المهرجان من هذا لا فاق الخصب ؟
هل صوروا أبا العلاء الممري كما هو في حقيقته أو كما هو
في أنفاس الأدباء أو كما هو في أنفسهم ؟ ان وفقوا الى ذلك ،
أو الى شيء من ذلك ، فما هو مدى توفيقهم ؟ ثم أيهم
أجاد أكثر من صاحبه أو حاول الاجادة أكثر من صاحبه ؟
هذه وغيرها أسئلة لا بد من الجواب عليها بالتفصيل
ليدرك الشعراء مبلغهم من الاحسان ، وليدرك الناس منهم نوع هذا
الاحسان . وربما كان هذا الاطار الأسر الذي وضعناه ضرورة

محتومة لابد منها في تقدير الشعر والشعراء، بل ربما كان هذا الإطار
الأسر ضرورة محتومة بالنسبة الى شعراء السورى والى شعرائنا
السوريين على الخصوص . فلقد عودوا الناس على ان يقولوا
شعراً قيماً او غير قيم ثم تنشره الصحف على أنه آية
الآيات فى الابداع والبلاغة . وربما كان الامر فى
حقيقته كذلك ، وربما لم يكن ايضاً ، ولكن الناس ازاء
هذا الشاء المستفيض المتصل قد أخذهم شعور الاعجاب بالشعراء
من غير تبصر ولا فهم ، أخذهم بالعادة فتدسس الى
« لاوعيتهم » فاذا هم كالمهل المصفق بالعدوى لا يبينون
ما يفعلون ، ولا يفكرون فيما يعملون ، لأن كباراً
قد ملك عليهم شعورهم الواعى وغير الواعى ، فما يستطيعون
الا أن يعجبوا باكثر ما يقال لهم من شعر .

أما النقد فلا يقيم وزناً لأكبار الجماهير ان رأى
فى الشعر ما لا يرضيه ولا يعجبه ، فانما هو يجب ان
يدرس الشعر حسب مقياسه الفنى والشعورى والتعبيرى ،

فما استحسنه هتف له ، وما استهجنه أشار اليه برفق وابتسام !
ينبغي اذن ان نعرض لهذا الشعر الذي أنشأه اصحابه
من اجل المهرجان ، بل ينبغي ، وقد سحب الزمان على
مهرجان ابي العلاء ذيل ردائه الاسود الكثيف ، أن نقف
عند كل قصيدة من القصائد وقفه قد تطول وقد تقصر
حسبما يسمح لنا المشرفون على هذه المجلة من صفحات .
واذا كان لي ما ارجوه فهو أن يفتح لي الشعراء صدورهم
وقلوبهم فلا يغضبون ولا يضيقون بالنقد مهما اشتد وقسا ،
وهو ما أعلم انه يفهمه اكثر مما تفهمه ثناء الناس حتى الان .
وموعدنا بذلك في الاسبوع القادم ، فالى اللقاء مع قصيدة
مهدي الجواهري .

لا أدري اذا كان الاستاذ مهدي الجواهري لا يزال
غضبان مهتاجاً ، بل لا ادري اذا كان غضبه واهتياجه
لا يزالان على الحال التي عرفت من العنف والقوة ، فما
اعرف اني اسأت اليه حين وضعت كلامه الذي قاله ، في حفل
خاص ، بين يدي الدكتور طه حسين ، في موضع بارز من
إحدى الصحف الدمشقية ، فقد اعجبت بكلامه ذاك وأعلنت
له شخصياً هذا الاعجاب ثم عدت الى إعجابي فسجلته
تسجيلاً لا يدع في نفسه شيئاً من الشك . فليت شمري
ماذا يريد الجواهري مني بعد هذه المراحل الطيبة التي
طويتها معه على الاعجاب ؟ إن يكن يريدني على ان اكون
له صناجة مداحة ، أقرع لشعره بالدف والمزهر في كل

نادٍ ومحفل ، وفي كل جريدة ومجلة ، فقد أخطأ ظنه
وطاش حسباناه ، فما عهدتني معه ومع غيره الا معجباً الى
حد ، مكبراً باقتصاد ، مثنياً بتحفظ ، لا أذهب مع الاجادة
والاحسان الى السماء ، ولا أذهب بالضعف والكبوة الى
التشهير ...

يمود إعجابي المعتدل بالجواهري الى سنوات ، فقد
هبط يوماً من العراق الى بيروت مع زوجه الاولى يرحمها
الله ، فأنست بمعرفته في بعض الفنادق على البرج ، ثم كان
بيننا لقاء ولقاء ، وقصص على طرفاً من حياته ، ودوى لي
شيئاً من شعره ، فعلمت ان الرجل أهل لكل اكبار وتقدير ،
ولحت الموهبة عنده تسمو تارة فتبدع ، وتحدرد اخرى فتضل !
واحب أن اذكر هنا ان اكثر شعر الجواهري في
ديوانه المطبوع القديم نمط فريد قد لا تقع على شيء من
مثله في الشعر العربي القديم والحديث الا نادراً ، فهو شعر
قد ذهب في تصوير الشباب بغرائزه ولهوه ومجاناته كل
مذهب ، شعر مسمى الاشياء بأسمائها ، ووضع النقط على

الحروف كما يقول الفرنسيون ، لم يصطنع القاصح الذي
 يصطنعه الشعر المهود ، ولم يرمز الى المعاني المألوفة رمزا ،
 وانما كان شمرأ واضحا كل الوضوح ، عاريا كل العري ،
 فيه من الغلظة ومن التشهي ومن حاجات الجسد . . .
 الشيء الكثير ! لشد ما يشبه شعره كلام « فكتور مارجريت »
 عند الفرنسيين ! ان العراق فيما يبدو لي أخصب أرض
 عربية لظهور « الادب المكشوف » الذي يلامس في بعض
 نواحيه حدود الاباحية واكاد اقول « اللاأخلاقية » . ولهذا
 الظاهرة الواضحة في العراق عوامل واسباب شتى ليس
 هنا محل الوقوف عند بيميكولوجيتها . وقد كان شعر
 الجواهري في صدر شبابه صورة قوية لهذه النزعة العراقية
 في الاستمتاع بجمالية الحياة من ناحيتها المادية ، اجاد
 في الكشف عنها اجادة قد لا نقع لها كما قلت في
 الشعر العربي على نظير ولا مضريع
 ولكن الجواهري ما كادت السن تخطو به خطاها
 الوئيدة على التجربة حتى جعل يحتشم ويرصن ويتزمت ،

وحتى أخذ ينظم في أغراض رسمية تدنيه من اوساط
الكبراء والعلماء والاشياخ ، وحتى أخذ يصطنع الاسلوب
العربي في تصوره للمعاني ، وفي تقاطر هذه المعاني على
القصيدة ، وفي طريقة عرضها للقراء ، لا ينطلق حراً مع
موهبة الاولى ، أولاً تنطلق موهبته الاولى حرة إلا اختلاساً
ولمّا . واذا كان هذا المساق الشعري والبياني يرضي طائفة
كبيرة من القراء في العراق وسوريا ومصر ، فلقد يغضب
الموهبة التي عرفناها في شعر الجواهري أول شبابه ، لانه
يأسرها على ان لا تجري مع هواها ، تخيل ما تشاء ،
وتبين كما تشاء

وقد حرص الجواهري في مستهل قصيدته عن أبي
العلاء في مهرجانه ان يقف بالمرّة يمسح خدها الترب
ويستوحي من صاحبها الفيلسوف الحر شيئاً يقوله في هذه المناسبة ،
فوقف ! أي حاجة الى ان اقول واستوقف . . ؟ يال هذه الوقفة
التاريخية ، التي ما تقفنا نلتمسها منذ امرى القيس حتى
الآن ! جميل ان يجرد الشاعر من نفسه شخصاً آخر يناجيهِ

ويسقيه الحديث ، ولكن الأجل ان لا يكون هذا التجريد
سنة تفرض نفسها على الشاعر او يفرضها الشاعر على نفسه
كلما احب ان يطل على النفس في مطالع قصيدته
وماذا استوحى الجواهري من قبر أبي العلاء في المعرة ؟
استوحى هذا المعنى الشائع المعروف وهو انه اخذ
يسائل المعري عما رأى وراء الموت من حقائق . هل من
حياة ثانية بعد هذه الحياة الدنيا ؟ وهل تبدلت الروح اللابئة
بأخرى غير لابئة ؟ وهل يعمل الميت من فرط ما يطوي
في القبر من أحقاب ام انه ليس هناك الى احساسه
بالاحقاب وبالألام وبالاكتواء من سبيل ؟ اسئلة شتى القاها قبل
صديقنا الجواهري شعراء كثيرون وقفوا على القبور
يلتمسون من صمتها ، ومن البلى الذي يغمرها ، حكمة ونوراً
وهداية . فمن هنا كان الجواهري لا يستوحى في الواقع
حفرة ابي العلاء ، وانما كان يتذكر ويحتر ما قيل على الحفر
والاطلال الدوارس ، على انه في الحق قد صاغه من جديد
صياغة جميلة

ليس بعد هذا المعنى الشائع المعروف الذي أوهمنا
الاستاذ الجواهري أنه استوحاه من قبر ابي العلاء ، معنى نسجله
له بالخير ، ولا صورة ابتعثها في نفسه ذكرى المعري ، اللهم
الا صورة من مزاجه ولحمة من آرائه ، فأما الصور المتخيلة
في قصيدة الشاعر فنادرة ان لم نقل معدومة . وهذه الصور
بالذات هي التي كان ينبغي للجواهري ان يكثر منها في
هذه الذكرى الالفية . فلتجاوز اذن عن هذا الضعف في الابداع
الى ابي العلاء نفسه كما فهمه الجواهري او كما تمثله الجواهري
الميزات الخالدة التي يجعلها الشاعر العراقي في المعري
ثلاث : حرية الفكر والحرمان والغضب . وهي فيما يرى
مميزات اجتمعت لابي العلاء ولم تجتمع لغيره . قرب
موهوب ثاقب الرأي « بدا له الحق عرياناً فلم يره » لان
غناً حط من فكرته فجعل من يراعه خشباً لا يستطيع ان يضرب
به الظالم والظالمين . ورب محروم راض بما قسمت له
الأقدار من الحرمان فصبر عليه وبرر نزوله بساحته ثم صور
الذل للناس قناعة تموج بالذهب ! فاما ابو العلاء فرجل رأى

الحق فجاهد من أجل فوزه واعلانه ، وكان سبيله في هذا
الجهاد تحكيم العقل وحرية الرأي . لم يرض بالحرمان الذي
امتحن به فثار في وجه الغاصبين يريد ان ينزع عن حقيقتهم
القناع الذي يسترها . وغضب فكانت غضبته للحق والعدل
والخير للانسانية جمعاء

وما يصل الشاعر الجواهري الى هذا الحد من تصوير
أبي العلاء حتى يهتف هذا المتهافت الحلو يحمد الله به على
الهداية ودين الاسلام :

آمنت بالله والنور الذي رسمت به الشرائع غراً منهجاً لحبا
وقد حمدت شفيعاً لي على رشدي اماً وجدت على الاسلام لي وأبا
هذا المتهافت الحلو المليء بالايمان والحمد هو من ألطف ما
قرأت في قصيدة الجواهري من الشعر ، وطرافته آتية من
حرارته الساذجة ولهجته الصادقة ولفظه الخفيف .
وعرض الجواهري الى حب أبي العلاء . والرأي عنده
ان المعري بري مما نعوأ عليه من الفلسفة السوداء التي لا
تبقى لذة ولا تنشد طرباً ، و بري مما حملوه من « وزر الذي

لا يمس الحب ملتعباً « ذلك ان أكثر الشعراء صرعى العيون
نشاوى من الخود. وهل كان بشار وعصبة سوى حطب
لهذا اللظى القوي ، لظى الحب ؟ فانت ترى ان الجواهري
قد عزّ عليه ان لا يكون المعري عاشقاً مدنفاً وهو الشاعر
المهرف الحس ، السمع النفس ، الساس الجانب كما يقول .
فهل أحب المعري حقاً ؟ هل كان حبه غنياً كاللظى ؟ ثم
هل قال في هذا الحب العنيف شعراً ؟ ومن هي التي تيمته
من النساء ؟ لا يجيب الاستاذ الجواهري على هذه الاسئلة ،
وانما هو ينحل المعري حباً ما كان اغناه في اتحاله على
هذا النحو ، فما ينقص من فيلسوف المعرفة شيء ان احب
او لم يحب . فهو رجل ضرير ، شغله عماه وفقره وذهنه
ودراساته ورأيه في المرأة عن شواغل القلب ومتاعب الحب .
وما كانت نفسه المكتئبة لتجد بين اطوائها مكاناً لهذا المخلوق
الساحر الذي يسمونه المرأة ، وهو القائل في كتاب
« الفصول والغايات » : « اي صديق لي راي نسيب ؟ اني
في الوطن الغريب . انما انا كرجل بلي بالصدى ، لا

يجد ابدأ موردا ، فهو ظمان ابدأ .
إذا كان المعري قد أحب حقاً ، فكيف يفسر لنا
الاستاذ الجواهري هذا المزاج السوداوي الاصيل عند الرجل ،
وكرهه للندى واسبابها على ما هو مشهور متواتر . . بل
كيف يفسر لنا قوله هو في قصيدته :

وللكتابة ألوان ، وأفجعها ان تبصر الفيلسوف الحر مكتئباً
ليس في قصيدة الجواهري ، بعد الذي عرضت عليك ، سوى
أشتات من الخواطر متناثرة هنا وهناك لا تجمعها الا وحدة
الوزن والقافية ، ولكنها في الحق خواطر حلوة استطاع
« الجواهري » أن « يصوغها » في بيان عربي جزل ، هذا
البيان الذي يبدو صدقه وجماله وقوته اذا تلوته على نفسك
او سمعت الشاعر نفسه يتلوه عليك
فاستمع الى هذين البيتين يخاطب فيهما الشاعر جانباً من
قبر ابي العلاء :

يا برج مفخرة الاحداث لا تهني ان لم تكوني لابرار السما قطبا
فكل نجم تم في قرارته لو انه بشمع منك قد جذبا

فهنا قبر يتيه على أترابه من القبور لانه يضم رفات
امرى كريم الفكر ، صادق النفس ، وان تكن حاله
« وشاهدته » من الهبوط والانخفاض بمكان ! فاي معنى
طريف هذا الذي تصوره الشاعر ثم غمره بالاباء والكبرياء !
واستمع الى هذا البيت ايضاً :

نور لنا . اننا في اي مدالج مما تشككت ، ان صدقاً وان كذباً
فهنا الانسان في حيرته الكبرى يجهل مما يتحيفه من الحياة
وما بعد الحياة كل شيء . يجهل مادة يحملها في جسده ،
ويجهل نفسه التي بين جوانحه ، ويجهل قضاء ينزل بساحه ، ويجهل
انحرافاً في خط معاشه ، مسير لما خلق له ، ثم يجهل هذا
الموت الذي يسلمه الى عالم آخر ، ما هو هذا العالم ؟ أهو
من نوع عالمنا ، كد في سبيل العيش فنجاح واخفاق ، ام
عذاب في الجحيم ام سرور في النعيم ام حساب بين بين ام
فناء في فناء ؟ ليس يدري الانسان مما بعد الموت شيئاً ، كما
لا يدري مما دونه شيئاً ، فهو في حيرة او في شك من
الامر كله كأنما هو يتخبط في ظلام دامس مدالج ، وليس

من ينير السبيل ! ولقد رضيت عن هذا الذي أعلنه حين
قال « ان صدقاً وان كذباً » فذلك احتياط لا بد منه في امة
تؤمن بالدار الآخرة على نحو ما جاء في الفرقان ايماناً قويا
واستمع الى هذا البيت الآخر :

لثورة الفكر تاريخ يذكرنا بأن ألف مسيح دونها صلبا
فهنا تصوير مركز طريف لشهداء الحرية الفكرية الكثيرين
الذين صرعتهم اهواء الجامدين على الزمان فكان لثورتهم المتصلة
تاريخ طويل هو صفحة ناصبة متميزة بين صفحات التطور
البشري على الاطلاق

ثم استمع الى هذين البيتين :

على الحصر وكوز الماء يرفده وذهنه ، ورفوف تحمل الكتب
أهوى على كوة في وجهه قدر فسد بالظلمة الثمين فاحتجبا
ايات جميلة بلا ريب ، يخالط جمالها كثير من الحزن بلا
ريب ايضا . من اين اتاها هذا الجمال الحزين ؟ لست ادري
على الضبط ولا الشاعر الذي نظمها يدري ، ولكنني نظرت
فرأيت مشهداً عادياً مألوفاً طالما وقعت عليه عيناى في بعض
احياء حمص المتواضعة الفقيرة ، قد اطل من بين لفظ

خفيف على السمع ، منطلق على اللسان ، هادئ الاثر في
النفس . هنالك عرفت ، من أين جاء الجمال الحزين الى هذه
الايات . جاءها يا صاحبي من البساطة والصدق ! فهنا ابو العلاء
المعري كما خلقه الله وبرأته الفطرة : رجل فقير قد
ارتضى الحصر بساطاً ، عن يمينه او يساره ككوز ماء ،
من فوقه على الحائط رفوف الكتب تحمل زاد المعرفة الى
هذا الذهن المفكر . وكان ينبغي للشاعر أن يضيف : وطلاب
يحيطون به ، ويأخذون عنه العلم . والرجل اعشى ، وعماه من ضربة
القدر الذي لا يرحم . ان حاسة البصر لسبيل قوي الى المعرفة والتميز
بين الالوان والاستمتاع بالحياة ، فمن فقد بصره صار الى نوع من
الحسرة دفين ما يفتأ يعتاج ويتدسس في حنايا صاحبه حتى يصبح
حزناً خالصاً كله . والبيت الثاني قد صور هذا الحزن الخالص عند
المعري كما صور البيت الاول مقومات حياته في بيان
سهل رفيع . فانظر هل ترى في قصيدة الجواهري اجمل من
هذين البيتين البسيطين ؟ !

— ٣ —



عصماء ان شهد الندي خطيبها
تركت فصاح القوم غير فصاح
بدهت شواردها العدى بكثبية
خضراء تلمع بالحديد وداح
بهذين البيتين كاد الاستاذ
بدوي الجبل أن ينهي قصيدته التي
القاهها في مهرجان أبي الملاء ، بعدما

بدوي الجبل طوّف حول المعقريّة والفكر
والعقيدة والنفس والمرأة وصلة هذه بالمعري ، فكأنما شعر بطول
المطاف او شعر بخطورته وقوته وجدواه ، ثم رأى الصدور
والأعجاز والقوافي تطاوعه مدى كبيراً ، وأنس بالمعاني
ونقلتها وبكارتها ، فنطق ببيتيه هذين يسجل فيهما رأيه في

قصيدته . وهو ، كما ترى ، رأي الشاعر ، فما رأي الناقد ؟

ليس من عادة الناقد ان يسحب على ذيل الشعراء في

عجبهم الطاووسي فيرسل مثل كلام البدوي الذي لا ينطوي

على اكثر من خيلاء نفس او نزوة مديح عريض قد خلت

لأبهامها وابتدائيتها من تقويم اسباب الجمال . انما من عادة

الناقد ان يستقرئ ويحلل ، ويجوس خلال البيان مؤثراً

ومتأثراً ، ويقرأ فاعلاً ومنفعلاً ، ويجمع الذي تشابه ، ويفرز

الذي تشابك ، ويصور مكان الضعف ومكان القوة ، ويقفز

فوق الدميم ، ويقف عند الجميل ، ثم لا يحكم إلا باحتياط وحذر ،

ولا يقرر الا باعتدال ونصفه ، لا يجمع ولا يبالغ ولا يجور

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

وماذا في بقي البدوي الا ان قصيدته كالظبي تأبّد

واعتمصم في رؤوس الجبال لا يتناول اليه اي صياد ، والا انها

لفصاحتها تدع من يسمعها ولو كان فصيحاً يجمع بالكلام ولا

يبين ، والا انها لمعانها الشوارد كالجند وقع على العدى فولوا

هاربين ؟ !

أهذا كلام معقول ؟ أهذا كلام له خطورة ؟ أهذا كلام
يقال في هذا العصر ؟ ! فوالله لولا انك يابدوي شاعر ، وشاعر
له حظ من خيال ونصيب من احسان ، وشاعر يجري في نظمه على
طريقة العرب ولا يجري معه ، لا أسمتكم الآن كلاماً ، وهزرت
فوق ظهرك نقداً ، كنت انت لا شك حافظاً لي واحدة ابد
الدهر ما دمت على الحياة !

سيمحو الناقد اذن هذين البيتين من دنيا الصواب ودنيا
الدقة لا يلقي اليهما بالاً ولا يعبأ بهما حين يستقبل قصيدة البدوي
بالعرض والنقد والتحليل ، وسيمضي على نهجه الذي رسمه
لنفسه مستقراً ومصوراً ، وسيهتف من قلبه للجمال ، ويمتسم
بشفقيته للدمامة ...

فأول ما يلاحظه الناقد ان الاستاذ محمد سليمان الاحمد قال
واحد وثلاثين بيتاً من الشعر وهو لا يدري كيف السبيل الى
النجاة من هذا المأزق الذي تورط فيه ، وكيف السبيل الى
الفرار من هذه المعاني العامة التي تاه بين شعابها . فقد استقبل
قصيدته عن ابي العلاء بالحديث عن العبقريّة ، اي سلطان لها على

الدهر : *لماذا؟ كذا؟ كيف؟ ما؟ أي؟ لا تقول؟ لا تفعل؟ لا تفهم؟*

الدهر ملك العبقرية وحدها لا ملك جهار ولا سفاح
ثم راز الفكر فاذا هو « كالضياء صراح » واذا الكون له « في
اسراره وكنوزه » ثم وصل الى العقيدة ، اي عقيدة ؟ العقيدة
الشماء ذات التوثب والجماح فأطال في الكلام عليها وخصها بأبيات
هذاب ووازن بينها وبين العقل الذي يشب ويمحي ، ودل على
سكرها « فأين من آفاقه سكر العيون واين سكر الراح ؟ »
ثم رأى « شرف العقيدة ان تكون جريحة » فحوطها بالله « من
أذى خرقاء فاجرة اليمين وقاح »

ثم ماذا ؟ ثم افكار وخواطر تدور حول ما قدمت لك من
المعاني او تتصل بها من قريب او بعيد ، ولا شيء غير ذلك في هذه
الايات التي بلغت واحداً وثلاثين بيتاً ؟

اين ابو العلاء المعري من معاني العبقرية والفكر والعقيدة ؟
لست ادري على الضبط ، وان كنت ادري ان الشاعر يريد ان يقول
ان ابا العلاء كان عبقرياً وكان مفكراً وكان صاحب عقيدة ، على
النحو الذي اشار اليه في كلامه الطويل .

فكلامه الطويل هذا يصدق على ابي الملاء كما يصدق على
غير ابي الملاء ايضاً . وهذا هو الذي لا يرضاه لشاعر كبير كبديوي
الجليل ، فانما الكلام العام كالشوب الفضفاض يستطيع كل امرئ
اذا علا أو اسط الناس و كان ذا موهبة وصاحب رسالة ان يرتديه
فيقع منه على قدمه وطوله وعرضه !

واذ كرأني لقد نهت الاستاذ البدوي الى خطر الابهام والتعميم
وفقدان الدقة حين عرضت في أيار ١٩٣٩ الى قصيدته الكبرى
في مصرع المرحوم غازي ملك العراق ، ولكنه يعود الآن الى
الابهام والتعميم مرة اخرى ، وسيعود الى ذلك في ظني مرات
اخر . فلم اذن اني لقد نقضت يدي من اصلاحه وتقويمه ،
وأني إنما اكتب الآن لغيره من الشعراء !

وما زال الاستاذ البدوي من كلامه الطويل العام في
مباهات وما آرق وشعاب حتى يطلع عليه ابو العلاء او يطلع هو
بنا على ابي العلاء ، فاذا

أعمى تلفت العصور فما رأيت عند الشمس كنوره العاج
فلننظر في «أعمى» البدوي ، أي وجه أطل عليه وعلينا ، وما هي

مختصاً من هذا الوجه الذي مازاه الله بشي من دون الناس . الحق
أن أبا العلاء هنا رجل تكشفت له اسرار النفوس ، فجلاها
ببصرة نافذة وفكر ثاقب ، وصور الدنيا بفظاعتها وبغى أقويائها ،
وقسا في تصويره ، وسخر من طباع الناس وعاداتهم وتفكيرهم
حتى ومن عقائدهم ! وكان جريئاً في كل ذلك جرأة نادرة المثال عند من
كانت له مثل وسائله من العمى والفقر والعزلة واثلام السلاح .
هذه الصورة الجامعة ، صورة أبي العلاء المعري الفيلسوف ،
قد استوفاهما البدوي من اقرب وجه وأيسر سبيل في ثلاثة عشر بيتاً .
فيا للشعر العالي ، ويا للشاعر المبين !

من راح يحمل في جوانحه الضحى هانت عليه أشعة المصباح
وجلا المصون من الضائير فانتفى همس النفوس لضجة وصياح
فاقرأ هذين البيتين كما قرأتها أنا ، وأعد تلاوتهما على نفسك ،
وانفذ الى مطاويهما ، وتذوق جلاوتهما ، فستجد انك حيال لون من
الشعر المجنح الجميل طالما رغبنا في مثله ، وطالما حرصنا على ان
يسحب الشعراء على ذيله . وسترى عمل البيان في الخروج بخواني
النفس الى دنيا النور او دنيا الضجة والصياح كما يقول البدوي .

وانما يعجبني البيت الاول لأن صورة « الضحى بين الجوانح » من
ارق الصور وأذناها الى الخيال وأعلقها بالجمال ، ويعجبني البيت
الثاني لأن كناية « الضجة والصياح » من أبرع الكنايات في
الدلالة على الكشف والاعراب . وفي هذا الجانب الذي وقفت
بك عنده من قصيدة البدوي ، بيت من الشعر أحب ان أذكره
لك الآن ، لا لجماله فما فيه جمال ، ولكن لأشارته الى موضوع هو
بيت القصيد ، واليكه :

ضجت ملائكة السماء لساخر من الدعاة شاتم مداح
أبو العلاء المعري شاتم مداح ؟ نعم هو كذلك في نظر البدوي . لقد
أطال هجاءه لهذا المخلوق الذي « ضن عليه بعطره الفواح » ولكن
خلف هذا الهجاء الطويل « غرر منضرة من الامداح » . وأظنك
قد عرفت هذا المخلوق الذي يبغضه أبو العلاء ويحبه في آن واحد ،
فهو المرأة :

عطر أحسن المني وغلالة بدع رفن وهج ومن أفرح
هي صورة لله جل جلاله عزت نظائرها على الاواح
ويفسر البدوي عداوة المعري للمرأة وكرهه لها بحرمانه من « مليحة »

ما وقعت عليه ولا أذاقته هناة العيش ، فباعدت بينهما الاقدار ،
 وبقي « الشراع » وسط العواصف بلا ملاح ! وطوى ابو العلاء
 شعره على كراهية ، بعدما طوى قلبه على حب . ويمضي الاستاذ
 البدوي مع هذا المعنى يشرح اثر المرأة في نفس الرجل على العموم ،
 وفي نفس الفيلسوف على الخصوص ، ثم ودّ لو ان أثني خُطرت
 على حياة المعري ، ومسحت على نفسه ، ودرجت على قرب منه ،
 ثم نزلت من قلبه الرحيم الذي « لم يضق بالوحش بين سباسب و بطاح »
 إذن « طلعت بأفاق عليه فساح » وسقته المموم « بمطرة
 كالسلسبيل قراح » . ويتساءل عن المليحة « العقوقة » وانما يود
 لو ينتقم منها انتقاماً تذكره كل انثى اذا عقت الرجال ،
 ويذكره المعري نفسه ويفرح له ، ويذكره البدوي ويرتاح
 اليه . لقد ودّ لو كان في يده زمام الزمان ودورة الدهر ،
 إذن لأعاد المليحة كما كانت بشبابها وجمالها ، وأعادها في
 حفل حاشد ينص بالغادين والرائحين ، فيعمد الى فتنها
 أو سحر جفونها فينزعه ، والى نور جبينها فيمحوه ، والى عقد
 ثغرها فينثره ، حتى اذا انتهى من تمثيله فيها وتشويهه لجمالها ،

على هذا النحو من الانتقام الفظيع ، جاءها بمرآة مملوءة لتنظر
فيها ما صارت اليه من الحال والدمامة . يا للصرخة الكامنة
ترسلها المرأة داوية ، وبالثأر من ظلم الجمال والانوثة ! هنالك
تشتت جراحات وأضاح كانت في الثرى مدفونة ، وهنالك
يستشرف البدوي مشهداً بنظرة المرناس . ولربما رأى المعري يضيق
من هذا اللون من الانتقام ، لوقه قلبه من جهة ، ولحبه المضمر للمرأة
من جهة أخرى ، فلا بأس عندئذ من ان يعلن البدوي له ان
الامر كله هزل ودعابة ومزاح !

صورة طريفة كما ترى ، لا تخلو من حسن التصور
وبراعة التصوير ، ولعلها كانت اروع ما ابدعه البدوي من
الصور في هذه القصيدة التي عرضت لها في شيء من السرعة ،
فانما كان ينبغي ان اقف عندها اكثر مما وقفت ، لولا ان
صاحب المجلة حدد لي الصفحات ، وصاحب المطبعة أعجلني
في الوقت . فلا سجل إذن لملاحظتين لا بد منهما قبل ان
أطرح القلم . الاولى ان البدوي قد اشار الى الوحدة العربية
الكبرى إشارة موجزة خاطفة ، لاسيما وقد تهلل فجرها كما

يقول في عهد السيد شكري القوتلي . والثانية هذه القافية
التي تلتوي تحت قلمه بين حين وحين ، فيغرب فيها ان لم أقل
يتقعر ! فالحق ان « الجحجاح والصحصاح » وامثالهما من القوافي
المتأبدة لم تعد تصلح اليوم عند ابن العصر ، وكانت قد
صلحت قديماً عند ابن الصحراء ، فنفر منها الآن هذا الذوق
الرهيف الدقيق الذي يتقبل كل شيء الا امثال الجحجاح
والصحصاح ! فكم بين هذي القوافي وبين « التفاح » من بون
في بيت البدوي الرقيق :

يا ظالم التفاح في وجنتها لو ذقت بعض شمائل التفاح
فهنا عتاب ناعم يوجهه الشاعر لأبي العلاء فيما تجنى على
المرأة من نقد . وهنا إغراء جميل على محاسن الانوثة .
وهنا ، فوق ذلك ، الفاظ خفاف ، ومسرى حلو ، ونغم
لطيف ، وشعور — على انه سطحي وابتدائي وجاهيري —
لا يخلو من شيء من الأحساس بفقمة المرأة وسحر الجمال .

— ٤ —



محمد البرم

طويلة ، طويلة جداً ،
حتى لتحسبها ملحمة او معالمة ،
وحتى لقد نشرتها صحف على
أعداد ، وابت أخرى ان
تنشرها . وانت تقرأها
فتشعر بالجهود المبذول لها
وبالوقت المصروف عليها

والاحتفال لقوافيها والفاظها ، ولا اقول لمعانيها ، وبارادة مطها
وتشقيق ابياتها . فما تشك في ان الشاعر قد اراق بسيلها عرقاً كثيراً
وحمل على نفسه الشينخة فأضناها قبل النظم وعند النظم ، وما تشك

في أن «معاجم اللغة» كانت حينئذ الى جانبه أو في رأسه ، لا أدري
والله . فهل وراء هذا «السك» الخفيف « كيف » جميل ؟
قد كنت أوتر أن لا أعرض لهذه القصيدة الطويلة بخير
ولا بشر ، وان لا أضعها تحت مبضع النقد في جملة ما اضع
من الشعر الذي ساقه اصحابه في مهرجان أبي العلاء المعري .
فان عن لك أن تسألني عن سبب هذا الايثار ، وعلة هذا
التجاوز ، فاعلم ان الاستاذ محمد البرم شيخ كبير ، قد ألح عليه
الشيخوخة بضعفها ومرضاها ، فما يصير اليها في الطابق الثالث من سرايا
المرجة إلا مقداً عاباً حائل اللون يكاد من الاعياء أن ينقض على أول
كرسي يصيبه فارغاً . وللشيخوخة المتهمة جراحات في قلب صاحبها
ما تنفث تنغص عليه العيش ، وتزيد في همومه ، وتضخم من
وساوسه ، وتحمله على أن يستقبل الحياة عابساً كارهاً . وهذا
إلى أن البرم يعالج في هذه الايام مع الحكومة الوطنية قضية
معقدة تتصل بتقدير جهوده في التدريس ، وتمديد خدمته في
المعارف ، وهو معني بهذه القضية محتفل لها ، قد أهاج صحف
العاصمة للكلام فيها ، وكان له إلى هذا وهذا وهذا تدبير

ووساطة وشفاعة . والأمر جد كما يرى : فالراتب ضئيل ،
 والغلاء شديد ، والأسرة ضخمة . ولهذا كله هموم فوق
 هموم السن ، وآثار كآثار الشيخوخة . وما أحب أن اضيف أنا
 ايضاً الى هذه العوامل مجتمعة عاملاً ربما كان في نظر الشاعر
 امرّ من تلك وأوجع ، واعني به نقد هذه القصيدة الطويلة
 التي بذل لها الجهد والوقت حتى ليحسبها فناً خالصاً وآية ما
 تطاول الى مثلها شاعر قبله في القديم ولا في الحديث !
 بلى ، قد كنت أؤثر أن أطوي رأبي في قصيدة الاستاذ
 البزم ، لأن رأبي فيها لا يرضيه ولا يسره ، ولربما نكأ
 جراحاته وابتعث آلامه ، فما يزيد الطين اذن إلا بلة كما يقولون .
 ولكنني نظرت فرأيت قصيدة البزم من القصائد التي قيمت
 في مهرجان ابي العلاء ، وأنا الان بسبيل التحليل لهذه القصائد
 واحدة بعد اخرى ، قلت في طائفة منها كليتي ومشيت ،
 وها انذا اصل الى قصيدة البزم . فلا بد اذن من أن ارسل
 القول فيها رضىت ام ايت ، احب البزم أم كره . ثم نظرت
 فرأيت أن الحق أحب اليّ وآثر عندي ، وأدنى الى قلبي ،

من البزم وشعر البزم ، وأنا من طلاب المثل ، ورواد الحقائق ،
لا أبالي في سبيل الوصول إليها شيخوخة وان كانت محترمة ،
ولا ألماً وإن كان عظيماً . ثم نظرت ايضاً فرأيت ان آثار
الشعراء والادباء اذ ينفضون أيديهم منها او يرسلونها في الناس
لم تعد ملكاً لهم ولا وقفاً عليهم ، وانما تصبح ملكاً
خالصاً لهؤلاء الناس وحقاً من حقوقهم المكتسبة ، يقولون
فيها ما يشاؤون ، ويحكمون لها او عليها ، لا يتأثرون
بأصحابها فيما يقولون ويحكمون ، فقد دخلت حرم التاريخ ،
ومن دخل التاريخ كان له عبداً ...

ولعل قصيدة البزم أيسر اثر يمكن ان يتعرض له الناقد
بالتحليل في حياته . فهي في الواقع تدل على نفسها وتفضح حالها
من اول بيت او اي بيت يقع عليه النقد فيها ، وبمجرد تلاوتها
من القارى تبرز الخصائص التي قصد اليها صاحبها : اثبات
القدرة على النظم ، ولا اقول الشعر ، وشيء يريد أن يسميه
« خولة المعاني » والاكثار من الالفاظ الغريبة التي يمدّها ثروته
اللغوية ، وتقليب القوافي على صفحات المعجم من اوله لاخره ،

والنية المبيطة في التطويل ، كأنما كل ذلك خصائص ترفع رأسه
وهو منخفض ، وتعلي من شأنه وهو خامل ، وتحيي شاعريته
وهي ميتة !

استهل الاستاذ البزم قصيدته في ابي العلاء بتحية يوم الشعر ،
ويعني المهرجان قال :

اجل هو يوم الشعر تغطي عباقره وتملا اسماع الخلود مناره
مشى مهرجان الدهر فيه مبهراً خفت له الافلاك نشوى تباره
وقام جلال الحق يسعى واقبلت وفود النبي من كل صوب تسايه
وودت دهاقين القرون لو انها ميامنه في جيشه ومياسره
ولولا حياء الليل نصت مواكباً عذارى الدجى في حشده وحراره
ثوى ربه من سدره الخلد سدة يلوذ بها ناهي الزمان وآمره
شهاب تحاماه الرجوم وساطع من الفجر مغمور به من بناكره

وما نقلت لك التحية كلها فهي طويلة. فهل ترى لها « عرضاً ،
يتفق و « طولها » ؟ هل ترى لهذه التحية من معنى الا انها مناسبة
يجب ان لا تفوت الاستاذ البزم ليقول نيفاً وبضعة عشر بيتاً ؟
ثم هل فهمت من التحية شيئاً اكثر من التهويل والمبالغة ؟ وهل

عرفت كيف يمشي مهرجان الدهر مباهراً في يوم الشعر ؟ !
فاذا خلصت من التحية على النحو الذي شهدته ، فتعال معي
أطلعك على المعري نفسه كما يصوره الاستاذ البزم :

هو الشاعر الأعلى فمن ذا يكابره وقد طبق الدنيا فمن ذا يفاخره
له يقطات توقظ الوقد في الصفا وتبعث ميت الروض بهترناضه
وجذوة طبع تترك البحر مارجاً ويبصر فيها الليل أين مخاطره
وطبع علا السبع الطباقي فأسلمت له رهبة او رغبة لا تماكره
يطأطي من تيه الكواكب وادعاً فتعنو له طوع الهوى لا تعاسره

ما اظنك فهمت من ابي العلاء شيئاً عن نفسيته وخصائصه
وروحه. فهذه أبيات عامة تقال في اي شاعر عربي أو غربي، بل هذه
أبيات من الابهام والتعميم بمكان لا تستطيع معه ان ترى جانباً
من وجه ابي العلاء ولو تكلفت لذلك ألوان الفطنة وطرائق
التفكير . فهل تكون هذه الابيات « توطئة » لشيء ذي خطر
وشأن ؟ ان يكن ذلك ما يخطر ببالك ، فاستمع الى هذه الابيات
الاخري :

تأنق في الكليل مجدك ضافره فرفت على هام العصور ضفائره

ولو ملكت زهر النجوم قيادها لا تهوت اليه النيرات تصاعده
تهادك اعتناق القرون فتارة نهوضاً واخري يدرك الجدعائره
وما كنت الا الشمس ان غال عارض سناها فعن وشك يبدد غامره
افرايت شيئاً مما كنت تتشوف اليه ؟ ؟ لا اعتقد ، واحسب
انك لست ببالغ وجه ابني العلامة ولو عرضت عليك العشرات من ابيات
القصيدة . فهي على هذا النحو الذي لحته من الكلام العام المبهم
الذي لا تفيد منه شيئاً ، ولا تخسر به شيئاً ، لا استغني من ذلك الاساحة
عرضت فأرسل فيها البزم ابيات عن العروبة او « العرباء واليعربية »
كما يحلو له ان يقول . وإلا الإمامة صور فيها هذا القلب الرحيم الذي
يواسي الحريب ، ويأسو الجراح ، ويشفق للبرغوث ، ويسامح
ذئب الفلاة ، ويأبى ان يأكل من لحم الدجاج . والا ابيات ثلاثة
اشار فيها الى « رسالة الغفران » فأحسن وأجاد ، فرائعة المعرى
سياحة طويلة ممتدة لا تخلو من هول ، صورها منشئها كأنما قام بها
او « عمرها » كما يقول الاستاذ البزم ، لفرط المشاهد الحسية التي
راها ، ولبراعة الاخيلة الطريفة التي قفزت لعينيه .
من المفيد ان أقف عند هذا الحد من قصيدة البزم . لقد
أرهقته فيما أرى مضطراً ، كما أرهقني وأرهق نفسه من قبل

مختاراً . والناس قدون من قديم يشقون مع بعض الشعراء والأدباء ،
لأن هؤلاء لا يحبون أن يسكتوا فيريحون ويستريحون ! ويجب
أن تعود الى قصيدة البزم في المجموعة التي أصدرها المجمع العلمي
العربي بدمشق ، وضمت كل ما قيل في المهرجان الألفي لأبي
العلاء المعري ، لترى مقدار الطاقة عند أعصابك في الصبر على مثل
هذا الضرب من القريض ، ولترى مصداق الصورة التي أعطيتك ،
على ألم ومضض ، إيطارها وخطوطها

وإنه ليؤسفني حقاً أن يكتب جواد البزم في قصيدته التي ساقها
في « يوم الشعر » . ويظهر أن الشاعر على علم بكتبه هذه فأحب
أن يحتاط لها أو يعتذر عنها لدى قارئه فقال :

تناهت الادواء ذهني فلا تسلم يراعي فقد ندت عليه ضرائره
وأخذن طبعاً كان مرتاد قابس ونجمة مغوار تلظى مخامره

إنني أريد أن أقبل من الأستاذ البزم عذره ، وأن أحيي فيه هذا
التواضع الجميل ، ثم أرجو بكثير من الأخلص أن يستأنف نشاطه
التدريسي في خدمة الجيل الصاعد الذي توفر على تثقيفه في النحو
واللغة سنوات طوالاً .

أنا وأنت الآن مع

عمر ابو ريشة في قصيدة

عاصرة بألوان من الاحساس

المتصل بجذور الحياة ،

وبضروب من الصور

المسحوبة على خوافي الوجود ،

وبأبيات من الكلام المنعمور

بجمال الشاعرية . لا تقل إني

عمر ابو ريشة

أبالغ أو أجامل أو أمدح ، فالقصيدة بين يديك فابسط نفسك عليها
أو دعها هي تبسط نفسها على نفسك ثم قل لي أفما سموت على عالمك ،



فلسفة
تختل
الكس
وسمو واء
المادة

وطرت بخيالك ، تشمل الكون والحياة والانسان بهذا النظر
الفلسفي العميق الذي يتخطى حدود الحس ، ويستشف ما وراء
المادة ؟

لملم عمر ابوريشة قواه ، وضم اجزاء نفسه ، ثم ارسل
الضوء على ابي العلاء المعري ، ارسله عليه ساطعاً كاشفاً . فماذا
رأى ؟ رأى ان « الفيلسوف » هو الاصل في هذا الرجل الكبير ،
فأحبه وهتف له ثم رمى بنوافله في الظل وما يلي الظل ، وكانت له مع
الفيلسوف في شخص ابي العلاء وقفات بارعة ، فيها خفة اللفظة
وقوة الفطنة ، ودقة الفكر ، فما تركه الا وقد نفّض جملة حال
الفيلسوف بكل ما تنطوي عليه جوانحه من شك وايمان ، ومن
يأس وحب ، ومن انطلاق نحو الحقائق والاغوار ...

وما أحب عمر ان تتردد انت على باب « ما وراء الطبيعة »
هذه الدنيا الواسعة التي قذفك في متاهاتها المنشعبة الغامضة ،
فأسلمك « المفتاح » وقال لك ادخل !

ملعب الدهر ... نعم ملعب الدهر هو المفتاح . خذه اذن
وافتح به الباب الموحد أو فدعني انا افتح ما أغلق من دونك

وأبو العلاء في قصيدة عمر هو الانسان، كل انسان، في كل زمان ^{الشعرية}
 ومكان. في نفسه الحنين الى «المجهول» الذي لا يراه ولا يدركه،
 في نفسه الشوق الى ان يرى «الوجود» منتهك الستر عريانا. وما زاده
 الى المجهول والوجود الا الظنون والفروض والاخيلة، فمن دون
 ذلك اذن «ضباب» يحيط به كشيئا ثقيلا، فما توغل ركائبه الا في
 زحمة الدروب فاذا هو يرجع الطرف خاسئا حسيرا :
 أتريد الوجود منتهك الستر يرينا اسراره عريانا
 ويفض القدم عن قلبه السمع ويجريه للعطاش دنانا
 لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله في نشوة الشعور عيانا ^{فزع صوي}
 ليس من سبيل اذن الى أن نعرف ما وراء هذا العالم او ما وراء ^{العرضية}
 هذه المادة، فدنيانا مغلقة لا يمكن ان ننزع عن فيها القدم حتى
 نكون مع الله سبحانه وجهاً لوجه. وتلك صوفية عرفناها من قديم
 تجعل الله روح هذا الوجود الذي نضطرب بين ظواهره ! وما
 نحن ببالغي قلب الوجود ولا سره، لأننا من نسج التراب ومادة
 الارض. وهل بلغه أحد من قبلنا ؟

نشطت قبلنا موابك شتى وترامت خضيبه خذلانا

وخفي الوجود ما انفك لا ينبض قلباً ولا يرف لساناً

طلبتة عين الخيال ولما لمحتة .. تكسرت اجفانها

فهنأ ركب الانسانية المفكرة يطل من اليونان مع
« افلاطون » ، ويمر على المانيا مع « كانت » ، ويقف عند فرنسا
مع « برغسون » . ويحاول ركب الانسانية المفكرة ان يعرف بالروح
والعقل والحدس ميكانيكية الحياة وان يدرس بالدين والعلم والفلسفة
« ما وراء الطبيعة » ، فلا يحقق شوقه ، ولا يكشف عن مجهوله ، فيقعد
خديان فاشلاً . ولقد وقفت عند هذه العين البصيرة او « عين
الخيال » كما يسميها الاستاذ عمر ، فاذا هي ما تكاد تلمح السر من
بعيد حتى تخفض الطرف مكسرة الاجفان ، فرثت لها
واشفقت عليها ثم ايقنت ان اليد حقاً قصيرة !

وجال ابو العلاء في ملاب الدهر وانطلقت فيه روحه ، فما
افاد شيئاً ولا اطمأن الى شيء ، او قل لقد اطمأن طوراً وارتاب
طورا

بين شك مروع وبقين مطمئن ما يأتي حيراناً

وهو في حالتيه قبيحة زهراء تروي نشيدها الفتاناً

هذه القيثارة الزهراء التي روت نشيد الريب والايمان مدى
ثمانين عاما ، والتي تقطعت اوتارها آخر الامر بقوس الحقيقة ، قد
أحب عمر ابو ريشة ان يسألها طائفة من الاسئلة على عندها ما يبل
أوام الحي ويروي غليل من خلفت بمدى على الارض : كيف
ألقت العالم الذي صارت اليه ، وهل امحت كآبتها ، وتردت احزانها
واهتدى خاطرها ، ورضي جناها ؟ ما سمع عمر جواباً ، ولا رأى
الا صمتاً . . . هنالك صرخ الصرخة الحزينة اليائسة فقال :

عالم الوهم نحن صغنا رؤاه وارده ان يكون فكنا .
فهنا كل اليأس وكل الالم اللذين يتخبط بهما عمر منذ سنوات .
فما من ريب في ان شاعرنا الكبير الصغير امرؤ لم يطمئن بعد في
الطريق السوي الذي يحبه ويرضاه ، فتجيفت نفسه الهموم
والاحزان ، وكان له من ألمه المالح الضاغطة مادة وثروة للغناء في
الشعر . وهنا أيضاً ، وأعني في البيت الذي رواه عمر او رويته له ،
الرسائل الوحيد الذي يشيعه في كل قصيدة نظمها وينظمها ، فمن
« رؤى الوهم » يستمد ابو ريشة صوراً واخيلة هي قوام شعره كله ،
ما جمع منه في ديوانه المطبوع وما لم يجمعه . ولهذا الرسائل اولهذه

الرؤى نتائج ذات خطر قد أعرض لها في مناسبة غير هذه المناسبة
حين أحل شعر عمر الذي نظمه في السنوات الأخيرة . بل ان هنا ،
وما نزال في البيت المذكور ، كل كبرياء عمر التي ينشرها على كل
من يتصل به من قرب او بعد ، والتي كان لجريدة «الايام» الدمشقية
أثر كبير في اشاعتها بين عطفيه . وقد غلا عمر في زهوهِ وكبريائه ،
وما أحسبه الا سيقى غالبا . ولربما كانت هذه الكبرياء وليدة الثقة
بالنفس ، والشعور بالقوة ، والاحساس بالامتلاء . فالحق ان عمر
ابو ريشة قد صور في شعره « عالم الوهم » اروع تصوير ، لقد
اراد عالم الوهم ان يكون .. فكان !

ويقف الاستاذ عمر عند ابي العلاء المتشائم ليقول له :

أمن الحب ان تدار عليك الكأس ملائ وتشتني ظمأنا ؟
فالحياة هنا امرأة تتصبى كل رجل ، وتقف له في كل
منعطف ، تبرج له مغرية فتانة ، وتعطيه من نفسها وجمالها ما يذوق
به طعم الهناء وراحة النفس . فما لأبي العلاء ينفذها ، وينفر
منها ، ويصورها للناس في صورة الشمطاء الدرديس التي لن
تصيب منها خيراً ، ولن تجد عندها سعادة ولا أمناً ؟

هذه الدار كم سئمت بها العيش وكم ذقت مرها الوانا
فطوبت الايام في عزلة الرهبان لم تحسب لها حسابا
قد تحجف الحياة ، الا وريدا وبضييق الوجود ، الا مكانا
لا أريد ان اناقش الاستاذ ابو ريشة فيما ساقه من لوم أبي
الملاء حين اعتزل الناس وفزع الى بيته ، فقد كان الرجل استاذاً
يختلف اليه طلاب العلم ورواة الشعر ، وكان متصلاً ببعض احداث
عصره السياسية حين أتاه قومه عنهم للقاء صالح بن مرداس .
واذن فلم تكن عزلة ابي الملاء دقيقة ولا كان محبسه بالسجن كما
يرى عمر مع بعض القراء . انما كان ابو الملاء متشائماً سوداوي
المزاج كارهاً للحياة واسباب الحياة . ومصدر هذه المايلوخوليا
عوامل فسيولوجية كحسر المضم من فرط ما اكل العدس والتمين
الجاف ، وعوامل نفسية تعود الى مزاج خاص والى ما اصابه في بغداد
من مهانة والى ما اصاب عصره من فساد واضطراب في الحياة السياسية
والاجتماعية والدينية ايضاً . وقد وصف الاستاذ عمر هذا الفساد
والاضطراب بوضع ايات صادقة لولا بيت واحد لم يكن صادقاً ولا
لائقاً ! وتوفرت للمعري هذه العوامل ثم زاد عليها من عنده فإزم ما

لا يلزم وطالع على الناس بضرب من الحياة أدنى الى ان يكون
امتحاناً لصبره وقوته منه الى اي شيء آخر . ولكن تساؤل عمر
تساؤل شاعر شاب لا يزال يأمل ويحلم ويتخيل ، وحق له ان ينكر
فلسفة المعري القائمة على تشهير الدنيا والغض من جمال الحياة ، فأنما
يحب عمر لو يهيم مع اللذات واحدة فواحدة لا يدعها الا بعدما
يأثني عليها ويشبع منها ...

وأريد ان أقف عند هذا البيت الجميل :

قد تجف الحياة ، الا وريداً وبضيق الوجود ، الا مكانا
فهنا ايمان الشباب بأن الحياة سخية خصبة ، مهما يبست اوراقها
فلا بد من ورقة خضراء يستطيع المرء ان يعيش في ظلها الوطيب
عيش راحة واطمئنان ، وبأن الوجود متسع مقتني الاطراف ، مهما
ضائق رحابه فلا بد من زاوية يسكن اليها الانسان ذا كرامته مستعبدا ..
فالبيت كما ترى جامع مضروب على طريقة العرب في الامثال
والحكم . ومن المفيد ان اذكر للصديق عمر أن شوقي امير
الشعر في العصر الحديث ، قد قال قبله في « مجنون ليلى » بيتاً
يشبهه من وجوه ، وهو :

قد يهون العمر، الا ساعة ونهـون الارض، الا موضعا
 فهنا ايضا ثقة لاحد لها بخير العمر واتساع الارض، ان تقطعت
 اسبابها بالمرء فهناك ساعة وهناك موضع يدكرها ويرددها كلما
 حن الى اليه واستعرض ماضيه . فبيت عمر وبيت شوقي
 متشابهان كل التشابه، متشابهان في الفاظهما، متشابهان في معناها!
 فأبي البيتين اذن مأخوذ عن صاحبه؟ وايهما أجمل وأروع؟ لا أريد
 ان اقطع انا بالجواب الواضح، فالترجيح متروك لذوقك وفطنتك،
 ولفهمك فن البيان وفلسفة اللفظ . وحسبي الان اني أثرت شوقك
 الى البحث والموازنة، على ضوء مزاجك وثقافتك وصراحتك!
 وانما أجهت فيك روح الدرس والمقارنة، من زاويتك انت،
 لأنني احب ان تشر كني فيما قلت انا من تحليل لطائفة من الشعر
 السوري، حتي لا أسير وحدي في طريق لعله من احوج الطرق
 إلى المشاركة بين الكاتب والقارئ، ليظلا على لقاء وتعاطف،
 بالفكرة والاحساس، وليكون النقد عملاً مزدوجاً بين طرفين،
 واثراً مستمداً من فريقين . فأنما يكتب الكاتب لغيره قبل ان يكتب
 لنفسه، وانطباعات القارئ جزء من فن الاديب لا يكتمل إلا
 بها، ولا ينضج إلا في مطبخها...

أتدري ؟ هذا شفيق
 جبري يطل عليك بخياله
 المخضرم ، وروحه الشاعرة ،
 وصوته الهادر ، في نهاية هذه
 القافلة الكريمة من شعراء
 المهرجان ، وكأنا جاء الآن
 ليشعل الناس ثورة ، او ليتمم
 رسالة الفكر ، او ليختم



شفيق جبري

الشعر بشعر يدل عليه كما تبدل بصمة الأصبع على الأصبع .
 وسنسير مع قصيدة الختام كما سمرنا مع القصائد الأخرى : نعرض
 ونحلال ، لا نجور ولا نبالغ

وأنت لو كنت مكان الاستاذ جبري ، ورأيت الوفود العربية
تجتمع في سوريا من كل الاقطار لتكرم أبا العلاء المعري في
ذكره الألفية ، أفكنت تقول في جلال المهرجان وجمال الذكرى
الاخوات وصوراً قريبة مستمدة من حاضرك او حياتك ؟ ولكن
شفيق جبري ، وهو يتمثل الحفل المحمّش حول ابي العلاء ، يقفز
به الى الماضي خياله العائش عاينه ، ويعود الى حافظته على الفور ،
يفتش عما رسب فيها من صور الحياة العربية في مجدها الغابر ،
فيمتسأل في شيء من البراعة والطرافة :

أهشام على السرير وعز الملك يطوي لمع الضحى لمعانه
ام وفود الحجاج تطري فتاها وابن مروان وارف سلطاناه
ام خيال من آل جفنة كالفجر يغني بطيفه حسانه
فكان النعمان قد حشد العرب وكسرى زاه به ايوانه

فهنا صور ، على انخطافها كالفلم السينمائي ، ترسم جانباً من
مجد العرب في الحيرة والشام قبل الاسلام ، وجانباً من مجد
الملك العربي ايام الامويين بعد الاسلام ، فكان السلطان
الذي كان لأجدادنا في القديم يتمثل الآن شديد السني ، مشرق

الوجه ، وارف الظل ، في هذه المناسبة الادبية الكبرى :
مهرجان المعري . فهل عرفت مادة التصور وطبيعة الخيال عند
جبري ؟ بل هل عرفت بأي سبيل يتوصل الاستاذ جبري لبعث
الروح القومية ، في النفوس الهادئة الهاجعة ؟
والحق ان الشاعر جبري من هذه الناحية صوت من أقوى
أصوات الشعر والنهضة في سوريا الحديثة ، قد تغنى مع بعض
اتراب له من الشعراء بأشجاد الامم العربية اغنيات حسناً ما يزال
ونين رجبها يدوي في سمع الدنيا العربية ، وهو القائل :

قسماً بالحمي وما نسج الفجر عليه فلا لآت أحضانه
ليس يفتي شعب تغنى بماضٍ ملاء الدنيا نعمة عنفوانه

وجبري يرى في الشعر قوة الاداة في بناء القومية ، كما
يرى فيه قوة الاداة في هدم الفاسد من نظم السياسة ، لانه ثورة
من صميم القلب »

وهدي في الانام يلح كالصبح فتمشي بضوئه عميانه
اي سمع لم ينسب لآثانيه وقاب ما هزه تحنانه
ويتحدث الاستاذ جبري عن أفاعيل الشعر في النفوس ،

ويقلب هذا المعنى على وجوهه ، ويتبسط فيه شارحاً ومذكراً
ومقدراً ، حتى ما ينتهي منه الا بعشرين بيتاً من اقوى الشعر وارقه
في آن واحد . فاذا خلاص من المعنى خلاص منه بخاتمة يصح ان تكون
دستوراً للأمة الناهضة في تقدير الشعراء ورجال الفكر على العموم :
لا يعز الله العزيز رجلاً لم يكرم في ظلمهم فرسانه

اما ابو العلاء ، فجري يرى فيه خاتين : الرقة والقوة .
فهو تكوين هندسي وديع ، ناعم الحس ، رحيم القلب ، وان
بلي هيكله وهذه الضعف :

هيكل من ندومة الحس بال لم يطقه من البلى جثائه
واديم مرمم هذه الضعف فكادت تمججه أودانه
ذاب حتى تحاله المين وهما أمن الوهم شفه ذوبانه ؟

فهنا صورة رقيقة وتصوير أرق ، وفق فيهما الاستاذ جبري
الى ابعد حدود التوفيق . ولست ادري اذا كان في ممكنة
شاعر من الشعراء ان يرق هكذا حتى يذوب . . .

على ان ابا العلاء من جهة اخرى رجل متمرّد ناقم ، شديد
على الظلم والظالمين ، قوي على الفساد والمفسدين ، له « عصب

نأثر ، وفكر لم يمتد هيجانه »

لو أصابت ملكاً عضوداً قوافيه لمدت من وقعها أركانها
أرأيت كيف اجتمعت لأبي العلاء الخلتان : رقة النفس
وقوة العقل ؟ هل عرفت من أين جاءت مكانة أبي العلاء بين
الشعراء ؟ وهل أدركت لماذا كرمته الشام رجل المعرفة
الضرير ؟

وابو العلاء ، على ما كان يجيش في نفسه من رحمة
وثورة ، قد عاش عيشة بسيطة قنوعة لم يتناول الى بهجة
الترف وزهو النعيم ، وكان حسبته من الحياة حس ينبض ،
وشعور يرف ، وفكر يجول . ما أشبهه في بساطة العيش
بالطير ... له ذرى الشجر والفضاء !

مارفيف القصور ، ماترف السلطان ، ماتاجه وما صولجانه
رب كوخ اشهى اليه من القصر وان ماج انسه وقيانه
لقد انطوى ابو العلاء على نفسه في بيت متواضع من
بيوت المعرفة ، يرسل بصيرته في خلائق هذه الدنيا التي
تضطرب من حوله اضطراباً أنانياً غريزياً . وبصيرة المعري

نافذة ملوؤها الفطانة والنور

لم يضره فقد النواظر فالقلب بصير تفتحت اجفانه

والاصل في المرء البصيرة لا الباصرة . كم من مبصر أخطأ
الطريق ، وتاه في دجى الحياة ، على ما له من أحداق مفتحة وأعين
رائية

كم بصير اعمى الجنان اذا ام — سميلاً ، ضل السبيل جنانه

نظر المعري الى الدنيا من خلال بصيرته ، فماذا رأى ؟
رأى دنيا لا تسير على هدى ، ولا ترعى ضميراً ، ولا تصير الى
حق ، فهي من عوجها وانحرافها تتردى في خلق وضيع خسيس
قوامه اللؤم والكذب والخبث والغباوة

فترى اللؤم اصفر اللون يخفي نهشة الموت والاذى ثعبانه

وترى الكذب جائلاً في مداه ثم تغدو قصيرة شطآنه

وترى الخبث ثعلباً يتلوى لم يطل مكروه ولا روغانه

ويظل الغي بالزهو يـذي ما زهو الغي ، ما هذيانه ؟

فهنا عرض جميل ، جميل جداً ، لا شيء قبيحة ، قبيحة جداً .

أرأيت « الفن » ما مهمته وما مادته ؟ ليست دنياك يا صاحبي ولا

دنيا المعري ، بالدنيا الحلوة التي تحجب اليك ناسها ، وهم كما عرفت
بنفسك اصحاب سلوك شاذ قائم على جلب المنفعة واللذة ، ودفع
الضرر والالم ، من طريق اي طريق ! وما كانت الاديان لتتنزل على
الارض ، وتوضع على النفوس ، الا لتؤطر سلوكها الشاذ بأطار
المعقول والطبيعي والجميل . وقد هذبت ما هذبت ، وصقلت
ما صقلت ، وظل الانسان مع ذلك لا يعمل للآخرين ، ولا يتحسس
بالغيرية ، الا من خلال نفسه ، وعلى ضوء مصالحه ! إن أباك الذي
تزعم أنه يؤثرك على نفسه ، ويحبك الحب العظيم ، لمستعد أن
يدوس كرامتك وينخر حياتك اذا رأى نفعه ولذته .. من طريق
زوجته التي خلفت أمك .. وان اخاك الذي ترى دمه من دمك ،
لمستعد كأبيه ايضاً ، ان يتنكر لك ويسرق مالك .. اذا بدا له انك
عقبة في طريق تحقيق شهواته .. فانظر أية دنيا قدرة هذه الدنيا
المتربة بالخسة واللؤم والكذب والخبث والغباوة .. !

ولكن دنياك هذه القبيحة ، انما تحاول في عينك ، وتقبل
عليها بقلبك ، اذا وصفها لك الواصفون ، وعرض لها الفنانون ،

فترى اللوعم أصفر اللون ، وترى الخبث ثعلباً يتلوى .. فاذا
أنت من الفن في جو ناعم فنان ، وكأنتما الدنيا في نظرك
غير الدنيا ، والناس غير الناس :

يهرم الدهر والتصاوير باقٍ سرها لا يمسه حدثاته

وماتكاد تترك تهاويل هذا الفن السحري ، وتنفلت من أساره
وجوه ، حتى تعود الى الدنيا التي من حولك ، فتعود الى الناس
الذين عانيت من اخلاقهم ما عانيت ، وكابدت من غرائزهم ما كابدت ،
فكانك مع الاستاذ جبري تهتف هذا الهتاف الصادق الحار :

فسد الخلق من قديم الليالي واستوت في فساده ازمانه

فكان الانسان في الغار من امس ولم تنخسف به غيراته

بلى ! فسد الخلق من زمان .. فكان الانسان كجده
في الغار كما يقول جبري ، أو كأن الانسان « قد جاء من مكان
سحيق يحمل اليها صورة دهية من انسانية الغابات والمغاور ،
تعيش فيه عبقرية العروق الاولى مرة اخرى ، فيحتفظ منها
بغرائز ظن انها اندثرت وماتت ، وعنده ألوان من الكيد

والمكر لا تعرفها بصيرتنا المدبرة ، كما يقول الكاتب الفرنسي
« أنا تول فرانس » في كتابه العظيم « حديقة أبيقور »

كيف السبيل الى اصلاح هذا الخلق المفسود ؟

ليت نوحا على السفينة ، والكو ن غريق يعمه طوفانه
فلعل الايام تأتي بحيد لم تروع سخاله ذؤبانه

ذلك هو جواب الاستاذ جبري ، الشاعر الذي يحلم ...

ألا ليت « ليت » جبري تنفع ... ليتها تنفع !!

أفلا نشهد الزحام على الأر	ض وهذي جروحه وأفانه
كم بكى الجن والأناسى من هو	ل ألت عليهما اشجاناه
لم يبدل غرائز الناس علم	بدل الأرض والسما ميدانه
وعظ الواعظون منا طويلا	ما شفى وعظهم ولا برهانه

— ٧ —

هذه إن شئت خاتمة الدراسة ، وإن شئت مقدمتها ، فهي
الغاية منها ، على أي حال ! فما سقت لك الصفحات التي قرأتها ،
وما عرضت للشعر الذي رأيته ، إلا لأروز هذا الصوت الذي
انطلق مجالجالاً في مهرجان أبي العلاء . أهو الصوت الحق الذي
ينبغي أن يدوي أم هو صوت في الاصوات وكفى ؟ أفي الصوت
المنطلق صفاء أم فيه كدورة ؟ أله رنين كرنين الفضة على الحجر ،
أم له طنين كطنين الذباب في الشمس ؟ هل يلحق الشعر في
مهرجان أبي العلاء بركب الشعر العالمي الأبداعي أم يلحق
بركب الشعر العربي الأثباعي ؟ أكان الشعراء الذين أنشدوا -
على هدى من الشعر ، وأساس من النفس ، وبصر بالذكري ،
وفهم للمعري ، أم كانوا كمدجلين خابطين في الظلماء ينظرون ما

واتهم الألفاظ من المعاني ، لا يبالون بسمط القصيد الذي
نظموه اي موقع وقع ، ولا اي غرض اصاب ؟ ...

الى الأجابة على هذه الاسئلة ، وعلى غيرها قريب منها ،
قصدت من وراء هذه الفصول التي قدمتها بين يديك . وقد
عرضت فيها لكل قصيدة من اكثر جوانبها المقومة ، ومن أبرز
اياتها التي تتصل بالفن وبالجمال وبالدمامة وبنفس صاحبها وبالموضوع
المعقود له الكلام . وأحسبني قد استطعت في شيء من الهدوء
والنصفية ان أنقض مواضع القوة ومواضع الضعف ، ولكنني كما
رأيت لم أقطع برأي في هذه القصائد منفردة ولا مجتمعة ، ولا
دلت على مكانها من التوفيق أو الهلهلة الا بقدر ما اشرت الى
البيت والبيتين والثلاثة . وانما فعلت ذلك لأضع اصبعك على
الشعر في تفصيله قبل ان أضعها عليه في جملة ، حتى اذا استقرأت
معني الشعر كله ، قصيدة قصيدة ، وبيتاً بيتاً ، استطعت ان أصل
بك على نور وهدوء الى الخاتمة او الغاية التي أبتغيها ، وهي
القول الفصل فيما قيل في مهرجان أبي العلاء من شعر
وذلك هو النقد التحليلي الذي يعرض لجزئيات الدراسة

واحدة واحدة قبل ان يبني حكمه او يطلق رأيه . أو ذلك هو
النقد الموضوعي الذي يجري على طرائق العلم الحديث من الأخذ
بأسباب الموضوع كما هي في واقعها وملا بساتها ، من غير ان
يكون للنقاد في هذا الطور من البحث أثر في هذه الاسباب الا
من جهة بيانها وفرزها عما يحيط بها من تشابك واتصال .
لقد ألم الاستاذ مهدي الجواهري ببعض جوانب المعري ،
فوصف ما كان عليه من حال في بيته وفي نفسه ، وعزا اليه حباً ما كان
يتحسسه بين جوانحه ثم سحب على ذيل غيره من الشعراء في
بعض المعاني الشائعة المعروفة . وأبهم الاستاذ بدوي الجبل في
مستهل قصيدته ثم جلا بصيرة المعري في تقاذها الى الضمائر والنفوس
ووقف عند المرأة كما بدت له ، ولام المعري حين كرهها ونمى
عليها ثم فسر اسباب الكراهية وودّ لو ينتقم من مليحة هاجرة
في صورة طريفة . وخات قصيدة الاستاذ محمد البزم من كثير
مما كان يجب أن يقال في المعري ، وإن لم تخل من تحية المهرجان
او يوم الشعر ، ومن الحرص على طرائق الصنعة وشدة النسيج
وغرابة الالفاظ . وصور الاستاذ ابوريشة شوق الانسان في شخص

المعري الى ادراك الخفي من الوجود والحياة والناس ، وتساءل
عن كرهه للعزلة في الدنيا في عزلة الرهبان ثم انحدر من فساد قديم الى
آخر يزعم أنه الآن قائم ، والتقى مع شوقي في بيت لا أدري
كيف أخذه في رابعة النهار ! وأثار الأستاذ شفيق جبري الشعور
القومي من طريق إحياء صور الماضي العربي ، وعرض للعزلة
كما رآها أبو العلاء ثم تمنى طوفاناً يعم الكون لعل الأيام تأتي
بجميل جديد لم تروّع ذؤبانه سخاله . . .
فأنت ترى مما قصصت عليك الآن ، بعد ما فصلته في موضعه
تفصيلاً ، أن شعراء المهرجان قد قاموا بقسط من تكريم أبي
العلاء ، فصوروا على الجملة حياته ، وبسطوا شعورهم في ذكراه
الألفية ، على تفاوت فيما بينهم من جهة العرض القوي والتصوير
الجميل ، ومن جهة الموهبة الشعرية والاصالة الفنية
والحق ان واحداً من هؤلاء الشعراء لم يقدم التوفيق يحالفة
في البيتين وفي المقطوعة ، وان لم يتناول هذا التوفيق الى
القصيدة كلها على التقريب الا عند واحد منهم لا يجمله القراء فقد
عرفوه مما سقت فيه من قبل وهو عمر أبو ريشة . فالأجادة في

أبعض القصيدة دون أبعاضها قدر مشترك قد تساوى فيه أغلب الشعراء الذي أنشدوا في مهرجان أبي العلاء . وهذا القدر المشترك الموفق ، على أنه ضئيل وضائع وسط كبوات وعثرات ، إنما يدل في حد ذاته على أن شعراء المهرجان قد حاولوا أن يمسوا حدود الابداع فيما ندبوا له أنفسهم من ألوان التكريم لشاعر فيلسوف من أبرز شعراء العرب الفلاسفة عند القدماء

وإذن فهنا الوضع الصحيح لشعراء المهرجان : أرادوا أن يقولوا شيئاً من الشعر الجيد فكبا واحد منهم كبوة لم تسترها إلا صناعته ونسجه . ونجح الآخرون في البيتين والثلاثة ، وكاد عمر ابوريشة أن ينجح في قصيدته لولا بيان كان يجب أن يكون أكثر اتصالاً بأسلوب العربية وبروح العبقرية فيها . فالبيان العربي الاصيل من شرائط التوفيق والأجادة ، بعد توفر الخيال المبدع ، والتصور العميق ، والجمال الفني . ولا أغلو ، فأكثر شعراء المهرجان متصلون بأساليب العربية في التفاتاتهم البيانية ، وفي تراوج ألفاظهم ، وفي ذهاب جملهم . وربما اسرف بعضهم في الحرص على هذا الجانب حرصاً كاد أن يستهلك ما كان يمكن أن يكون له . . او قل كاد أن يضيع

ما ينبغي ان يكون له من تحسين التفات إلى جمال الذكري أو جلال
الفن

وعلى هذا ، فالجمهرة الساحقة من شعراء المهرجان كانت في
المحافظين: المحافظين في طريقة الأداة والمحافظين في الأوزان والبحور
والقوافي ، والمحافظين في انسحاب المعاني والصور على الموضوع
وطبيعي جداً ان يكون الشعر السوري الجديد محافظاً ، ولا أقول
جامداً ولا مجدداً ، فالحياة العامة في سوريا قد أخذت بأسباب النهضة
الحديثة منذ عهد قريب ، فاقبلت على تجديد شتى مرافقها بحذر وبطء ،
وتطلعت إلى مذاهب الغرب بفتور وأناة ، على شدة حاجتها إلى
هذه المذاهب في مشتمل بعضها الجديد ، لتأخذ منها ما ينفعها .
وسوريا ما تكاد تخطو إلى الامام ، بسائق من العصر ،
مضطرة أو مختارة ، حتى تقلت إلى الماضي فتحرس الحرس كله
على خطوطه الكبرى ، وتحاول أن تساق أنعامه مع الأنعام
الواردة إليها من بعيد . . . وموقع سوريا بين الصحراء والبحر
يدعوها إلى ان تقس من هنا ومن هنا بقدر ، وإلى أن تتردد بين
ماضيها ومستقبلها في بعض الخطى ، وإلى أن يكون حاضرهما

من يجامع الصباغ العربي والصباغ الغربي. فمن هنا كانت نهضتها الفنية
 كنهضتها العلمية ونهضتها الاجتماعية ونهضتها السياسية أيضاً، تسليلاً
 وتيداً لا يخلو سيرها من المحافظة على أوضاع موروثه، والتطلع إلى
 أوضاع لا بد آتية. والشعر عنوان بارز من عناوين هذه النهضة الفنية
 في سوريا الحديثة، بل صفحة من أقوى صفحاتها دلالة وتصويراً،
 فهو إن رغب عند بعضهم في التجديد والحرية مرة فلقد رغب عند
 آخرين في المحافظة على سنن السلف مرات، ولئن اصطنع الثورة
 حيناً فلقد خلد إلى مواضع الماضي أحياناً كثيرة.
 والشعر السوري لا يزال يجري في حدود الرومانتيكية
 للعربية من جهة دوران «الأنا» في الحديث، وظهور الفردية،
 وبروز التجربة الشخصية مبسطة بصفة المتكلم، والحرص على
 الغناء في الكلام، وتقض هتافات النفس الواعية، والاستجابة
 للفرح والأسى والذكرى وما إلى هذا من عواطف وأهواء
 واضحة قديمة. لا يزال يجري ضمن دائرة الرومانتيكية العربية حتى
 في ضعف انطلاقها وفي كمرن نزعة التمرد عندها، لا يشور على
 مجتمع، ولا يتحلى من مذهب في الفن الا قليلاً.

ويؤكد الشعر في الأقطار العربية الأخرى أن يكون جميعه
كالشعر السوري وجدانياً ، لولا أن لبنان يحاول من جهته أن يجدد
فينطلق نحو الرمزية بخطى موفقة الى حد عند ناس ، تقليدية عند
آخرين ، جريئة على كل حال . والرمزية ليست هذيان شعور ولا
خلط ألفاظ كما يظن بعض الأدباء ، ولكنها تنظيم وعقل وموسيقية
ورجوع الى اعمق واخفى ما في النفس ثم تقض ذلك بالأشياء
الدالة والرمز المعبر ، على نحو ما هو في جوه وملا بساته وتداخله ...
أما الذين يقولون أن عمر أبو ريشة شاعر رمزي فهم لا
يدلون على فهم صحيح لهذا المذهب المعروف ، لأن من أهم روافد
الرمزية عند الشاعر علوم الرياضيات العالية ، والفلسفة المجردة
الأصيلة . وإنما يسحب أبو ريشة على ذيل الوجدانية العربية في
جميع شعره ، وإن خيل لبعض القراء البسطاء أن الأمر على خلاف
ذلك .

ولقد كان في مكنة الاستاذين خليل مردم وشفيق جبيري أن يفيدا
من مطالعتهما الواسعة في الآداب الفرنسية والانجليزية لولا أن أسس
ثقافتهم موصولة بآداب العرب الأقدمين ، فبقيا حيث كوتتهما

الأولى من الجري على مذاهب العرب
وقد كنت أوتر أن أقف من هذه الفصول التي أرسلتها
عند فصل أعرض فيه على الخصوص الى الاستاذ خليل مردم بك
كما عرضت الى اصحابه الشعراء ، ولكن خيلاً نفسه اصطنع الذكاء
في مهرجان ابي العلاء ، فتولى التنظيم والإشراف ، واستعلى على
الشعر والشعراء !

وكيف دار الأمر كما يقول الجاحظ ، فردم وجبري
والبدوي وأبو ريشة والبزم ، وآخرون في دمشق وحمص وحماة
وحلب واللاذقية والسويداء ، هم جميعاً من المدرسة العربية ، على
تفاوت فيما بينهم في اصالة الملكة الشعرية ، وفي نقض
الشعور الصحيح في اللفظ الجميل . وآية ذلك أنك لو قرأت شعراً
لشاعر من هؤلاء الشعراء لم يهر توقيعه في ذيله ، فلن تستطيع
ان تحذر من هو على الضبط قائله ، فأنما شخصيات الشعراء في
سوريا ، وفي الشرق العربي ايضاً ، متشابهة في الأغلب الأعم ،
قريب بعضها من بعض ، لاستيحاشها مثلاً أعلى واحداً ، ولأنها
تقتات جميعها من المائدة العربية . . .

ربما كان الاستاذ أبو ريشة الشاعر الذي يصطبغ شعره بلون
متمايز ، من حيث دورانه المتصل حول بعض الصور ، ومن جهة
استعماله الكثير لبعض اللفاظ . على أن البزم متمكن من لغته ،
شديد العناية بنسج أبعاض جملة ، يشرحه في ذلك الاستاذ بدوي
الجميل مع الذهاب وراء متسقطات الخيال . اما الاستاذان مردم
وجبري فمتظران متأنقان في الشعر ، مقلان في الأتاج ، ولكنهما
على ذلك موفقان في أكثر ما ينظمان

ما عسى أن يكون مستقبل الشعر السوري المعاصر ؟
مثل هذا السؤال تستطيع أن تلقيه بالنسبة للأدب العربي
الحديث كله ، ويظل جوابك عليه واحداً لا يتغير الا قليلا ،
لأن قضية الادب العربي في العصر الحاضر يجب وضعها جملة تحت
البحث مع اختلاف في النظر يسير بين قطر وقطر . ومن قبل ،
أجاب على هذا السؤال المستشرق الفرنسي «كلمان هيوار» . فقد
عقد فصلاً خاصاً في آخر كتابه الضخم عن « الادب العربي »
تسأل فيه أيكون هذا الأدب في المستقبل تقليداً للمصور
الكلاسيكية القديمة أم أن اللغة العربية تضطر إلى أن تتبدل تحت

ضغط الآراء الحديثة ، فتثري من جديد باصطلاحات فنية
مستحدثة تحيي الأصل القديم ؟

في هذا الفصل عرض « هيوار » الى تطور اللغة العربية ،
واستعمال الألفاظ المسجوعة ، وتشكيل أحرف الطباعة ،
والكتابة بالعامية والفصحى . « حتى إذا استوفى ذلك بشي من الأيجاز
والسرعة والمكرر ايضاً ، قال : « كل الذي نرجوه من اديب
العربية في المستقبل هو ان يتحرى الوضوح والبساطة في بيانه .
وحين يتحقق ما نرجو ، نستطيع ان نقنأ للأدب العربي حياة
زاهرة تدوم ما دام الاسلام الى قرون عديدة »

تعني من كلام هيوار كله ، بالقياس الى مستقبل الشعر
السوري والأدب العربي ، كلمتان : التحرر من الكلاسيكية ،
والبساطة في البيان . وثالثة أضيفها أنا من عندي : الصدق الفني
من وراء هذه الكلمات الثلاث ، طائفة من المعاني قد تغيب
مداخلها في الأذهان . ولكن الوقوف عندها او تقليب امرها ،
تفصيلاً ، يحتاج الى صفحات . فحسبي اذن اني دلت هنا عليها جملة
لتكون معالم منيرة يستهدي بها السأرون عندنا في طريق الأدب

لست من المتشائمين . واذا كان الذين ذكرت من الشعراء
في هذه الدراسة هم أصحاب السيرة والشهرة بين قراء الأدب
في سوريا ، فإن فريقاً من الشباب الشاعر المجدد يحاول أن يشق
طريقه في زحمة الشيوخ ليساهم في حمل مشعل الأدب السوري
الحديث على أساس من مواهبه المبدعة ، ودراساته الواسعة للأدب
الأوربية والأميركية والعربية والشرقية أيضاً . والأمل معقود
على الشباب والأشياخ في النهوض بالشعر والأدب إلى منازل الاحسان
أما النقد فمن وراء أولئك وهؤلاء يسدد الخطى اذا تعثرت ،
وينير السبيل اذا دجا ، ويصحح المقياس اذا فسد . يهتف للمجيد ،
ويبسم للديميم ؛ لا يقسو ولا يعنف ، فالنقد الحاد يضر الناقد ولا
ينفع المنقود

وهذه صفحة بسطتها مدى اجتهادي . حسبي منها اني
وضعت لبنة متواضعة في صرح النقد الجميل . وعند القراء جزائي ..

فَيْصَل، مُحَمَّد رُوْحِي
تَحْتَ الْمِبْضَع: عَمْرُ ابُو رِيْشَة، بَدْوِي اَل

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01034700

American University of Beirut



General Library

892.78

F282LA

C.B2+A